DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781 ISSN : 2072-6317(P) - 2572-5440(O)

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية
مجلة اوروك للعلوم الانسانية
موقع المجلة : www.muthuruk.mu.edu.iq

مصير كتب ومكتبات بغداد خلال الغزو المغولي 656هـ/ 1258م

دراسة تأريخية

سماح حبيب حسين*

جامعة المثنى/كلية التربية للعلوم الإنسانية

معلومات المقالة

تاريخ المقالة :

تاريخ الاستلام: 2024/4/17
تاريخ التعديل : 2024/4/28
قبـول النشـر: 2024/4/29
متوفر على النت: 2024/6/12

الكلمات المفتاحية :

الكتب، المكتبات، المغول، سقوط بغداد، حرق، إغراق، تدمير

الملخص

شهدت بغداد في العصر العباسي الأخير تطوراً كبيراً في الجانب العلمي والثقافي، فأقبل القائمون عليها، على إنشاء العديد منْ المكتبات العامة والخاصة حتى أصبحتْ خزائنها مملوءة بـ آلاف المصنفات منْ شتى العلوم والمعارف في اللغة والأدب والطب والفلسفة والعلوم والدراسات الدينية .... إلخ. وأنشئت العديد منْ المدارس والرباطات والزوايا وألحقتها بخزائن للكتب لأغراض التدريس والتأليف والنسخ، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل تعداها إلى إلحاق المساجد والجوامع بمثل تلكَ الخزائن لأغراض التدريس الدينية والعلمية، وبقيت على ذلكَ الحال إلى أن مر على بغداد ما أسماه المؤرخون بـ**(الفترة المظلمة)** التي بدأت من سقوط الخلافة العباسية سنة 656هـ/1258م، والتي أرُجعت تسميتها نسبة إلى ما فقدته بغداد أثناء عمليات الغزو من وثائق ومخطوطات ومؤلفات أصلية عنْ تلكَ المرحلة التأريخية بالحرق والضياع والتدمير حسب ما أورده بعض المؤرخين في مؤلفاتهم تأثراً بما أحدثه المغول من قتل ونهب وتخريب رافقت عمليات الغزو، لذا; حاولنا منْ خلال هذهِ الصفحات أن نقف على ما ورد منْ أخبار سطرت بينَ صفحات مؤلفات معاصريهم ومن أعقب زمانهم، وتتبعناها بدأً منْ وصول المغول إلى بغداد لمعرفة ما أصابها عند سقوط المدينة، وما آل إليه مصيرها استناداً إلى ما ورد من معلومات في تلك المصادر .

©جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثنى 2024

المقدمـة:

تعدّ الكتب والمكتبات عنصراً حضارياً مهماً منْ عناصر التطور الثقافيِ والحضاريِ في حياة الشعوبِ والأممِ الأخرى كونها تلعبُ دوراً كبيراً في نشر العلوم والمعارف بينَ المجتمعات الإنسانية كافةً، وهي ظهرتْ كنتيجة طبيعية لكثرة المصنفات الأدبية والعلمية، وكان لذلك أثرٌ كبيرٌ في إقبال الناس على جمعها وترجمة كل ما يحتاجُ منها إلى الترجمة حتى أصبحتْ ألوفٌ مؤلفةٌ منْ تلكَ العلوم والتصانيف، وهو ما امتازتْ بهِ الدولة العربية الإسلامية التي كانَ لها دوراً مهماً وأساسياً في ذلك التطور والازدهار، فأولتْ المكتبات ما تستحقهُ منْ رعاية واهتمام كبيرين. وأقبلتْ خلال مراحل مختلفة على إنشاء العديد منْ المكتبات الأخرى ورفدها بشتى العلوم والمعارف، وعندما ظهرتْ المدارس ألحقتْ بها مكتبات وخزائن تضمُ الكثير منْ الكتبِ العلميةِ والدينية، ولمْ يقتصرْ الأمر على المكتبات العامة والمدارس، بلْ ألحقتْ الجوامع، والمساجد، والرباطات، والزوايا بخزائن للكتب أخذتْ حيزاً مهماً في التدريس والتأليف والترجمة والنسخ، فكانت تقوم مقام المعاهد العلمية العريقة في ذلكَ الوقت.

كانت بغداد لاسيما في العصر العباسي الأخير تعج بالعلوم والمعارف المتنوعة، وأصبحتْ محط أنظار العالم فأقبل عليها

*الناشر الرئيسي : E-mail : samah.habib@mu.edu.iq

الناس منْ أصقاع مختلفة، لينهلوا منْ علومها ومعارفها، وتتلمذ الكثير منْ طلبة العلم على أيدي علمائها وبقيت على ما هي عليه حتى توقفتْ الحياة فيها لبرهة بسبب ما أصابها أثناء الغزو المغولي في سنة 656هـ/ 1258م، مما دفع المؤرخين الذين أصابهم الشغف والولع بعظمة تلك المكتبات و آلمهم ما أحدثه المغول في بغداد من قتل ونهب وتخريب، دفعهم إلى المبالغة والتهويل في ما أصاب المكتبات من تدمير، لذا؛ حاولنا أن نقف على ما ورد في بطون مؤلفاتهم ومؤلفات معاصريهم ومن أعقبهم من أخبار وتتبعناها بدأً من وصول المغول إلى بغداد لمعرفة ما أصابها وما آل إليه مصيرها.

تكون البحث من مقدمة ومبحثين حاولنا أن تكون المحاور الرئيسة لهما بما يتناسب مع عنوان الدراسة، تضمن المبحث الأول: استعراضاً للمصادر والمراجع التأريخية التي (ذكرتْ، نقلتْ، سكتت عنْ) حادثة الكتب والمكتبات في سنة 656هـ/ 1258م والرأي الخاص بالروايات المتعلقة بها استناداً إلى المصادر والمراجع التي دونتْ حوادث سنة 656هـ/1258م منْ تدمير وحرق وإغراق، واستوعب المبحث الثاني: أهم مكتبات بغداد الموجودة في العصر العباسي الأخير 622-656هـ/ 1225-1258م (مصيرها، وتأثير الغزو المغولي عليها). تلتها خاتمة أوجزنا بها أهم النتائج التي توصل إليها البحث. واعتمد البحث على مجموعة من المصادر والمراجع المتنوعة في مادتها العلمية سطرتْ جميعها في قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: المصادر والمراجع التأريخية التي (ذكرتْ، نقلتْ، وسكتتْ عن) حادثة الكتب والمكتبات في سنة 656هـ /1258م

اتفقتْ المصادر والمراجع التأريخية القريبة والبعيدة (الإسلاميةَ والحديثةِ والمعاصرةِ)*1 على إن الغزو المغولي كان منْ أشد الأخطار الخارجية التي تعرضتْ لها مناطق العالم الإسلامي خلالَ المدةِ 617-656هـ/1219-1258م، أكثرها ثقلاً وتركيزاً في **(بلاد فارس)***2 والعراق كونَ تلكَ المناطق قد خضعت لسنوات طويلة لحكوماتٍ عديدةٍ، إذ أصبحت مراكز رئيسة لتلكَ الحكومات، فضلاً عنْ كونهما منْ أكثر مناطق العالم الإسلامي فوضى وصراعات سياسية، بالنسبة لبلاد فارس كانتْ تلكَ المنطقة تعاني منْ الضعف والفوضى السياسية والصراعات الداخلية في أثناء الغزو المغولي في سنة 654هـ/ 1256م، إذْ ساعدتْ تلكَ الصراعات على غزوها بعدَ القضاء على أكبر قوتين فيها، وهما **(الخوارزميين)***3 و**(الإسماعيليين النزاريين)***4 منْ بعدهمْ، إذْ مثلتْ تلكْ الدويلات القوى ذات الثقل الأكبر في إدارة الواقع السياسي للبلاد قبلَ الغزو المغولي. أما بغداد عاصمةَ الخلافة العباسية ومركز العلم والحضارة فقدْ كان الغزو المغولي أكثر تدميراً لها، فقدْ تمَ استباحة المدينة في السنة المذكورة أعلاه، وقتلَ منْ سكانها الكثير، ونهبتْ أموالها، وأحرقتْ أحياءً عديدةً، ودمرتْ بعضاً منْ مؤسساتها، والحق الضرر ببعضها الآخر، حتى طالَ ذلكَ الخراب دور الكتب والمكتبات المتواجدة فيها، ولم يقتصر الأمر على مدينة بغداد، بلْ تعدى إلى المناطق الأخرى فقتلَ منْ سكانها الكثير، وتعرضتْ أحياءها للتدمير والتخريب، في حين أنَ المدن الأخرى لمْ تتعرض إلى التخريب ومنها: مدينة كربلاء، الكوفة، الحلة، وما حولها التي دخلت في الطاعة دون أيِ مقاومة تذكر، وقيلَ إنَ السببَ في ذلكَ يعود إلى إنَ **(هولاكو خان)***5 (1258-1265م) وردهُ كتاب منْ بعض سادات الحلة على رأسهم أحد كبار آل طاووس (وهمْ إحدى الأسر العلمية في الحلة) وهو مجد الدين بن الحسن بن طاووس، يعرضون فيه طاعتهمْ وانقيادهمْ له، وأنهُ ورد عنْ الإمام علي (عليه السلام) بعضَ الأخبار التي تشير إلى أنَ انقراض الخلافة العباسية ستتم على يديه، فأبتهجَ هولاكو لذلكَ، وأبدى رغبتهُ في رؤيتهم، فعين مجد الدين بن طاووس والياً على المنطقة الفراتية، وعلاء الدين العجمي أميراً على الحلة وأطرافها، أما الكوفة فقد أرسل الأمير **(سيف الدين أحمد البيكتجي)***6 إلى هولاكو يطلب منهُ إرسال مائة جندي إلى النجف منْ أجل حماية مشهد أمير المؤمنين (عليه السلام)، وبذلك كفوا الأذى عنهمْ وعن مدنهمْ. (الهمذاني، 1960، ص296)، (افندى، 1971، ص145-146)،

DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781

(الصياد، 1980، ص85-86)، (الربيعي، 2006، ص279)، (الطائي، 2014، ص5).

لدى عودتنا لبغداد ودور الكتب والمكتبات فيها، ومصيرها خلالَ الغزو المغولي, فقدْ وردتْ بينَ أيدينا مصادر ومراجع عديدة اجتمعتْ حولَ ذلكَ، تفاوتتْ بينَ منْ دونها وذكرها، إذْ وردتْ في مؤلفات مؤرخين بعضهمْ معاصر لأحداث الغزو، وبعضهمْ الآخر قريب منْ الأحداث، وآخرون بعيدين عنها يمكن أنْ نعدهمْ ناقلين لها عنْ بعض أو سلسلة منْ الرواة، وبينَ منْ سكتتْ عنْ ذكرها، وسوف نستعرضها في بحثنا حسب التسلسل الزمني للرواة وقربهمْ منْ الحدث، يعقبها تحليل نستند فيه إلى المصادر والمراجع المهمة التي دونتْ أخبار سنة 656هـ/1258م، وهي كما يأتي:

أولاً: المصادر التي ذكرتْ حادثة الكتب والمكتبات (تدميرها، حرقها، إغراقها)

1-مؤلف منسوب لعلي بن أنجب المعروف بابن الساعي البغدادي: **"و(يقال) انهم بنوا اسطبلات الخيول وطوالات المعالف بكتب العلماء عوضا عن اللبن"**. (مؤلف منسوب لابن الساعي، 1309هـ، ص127).

2-عبد الرحمن بن خلدون: **"القيت كتب العلم التي كانت بخزائنهم بدجلة معاملة بزعمهم لما فعله المسلمون بكتب الفرس عند فتح المدائن واعتزم هلاكو-يقصد هولاكو-على إضرام بيوتها ناراً "**. (ابن خلدون، 2000م، ص613).

3-جمال الدين أحمد الحسيني المعروف بابن عنبة: **"وكان (المستنصر)*7 قد أودع خزانته في المستنصرية ثمانين ألف مجلدا على ما قيل، والظاهر أنه لم يبقَ الآن منها شئ والله الباقي"**. (ابن عنبة، 1380هـ، ص206).

4-أحمد بن علي القلقشندي: **" ويقال إن أعظم خزائن الكتب في الإسلام ثلاث خزائن: إحداها -خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد، فكان فيها من الكتب ما لا يحصى كثرة، ولا يقوم عليه نفاسة، ولم تزل على ذلك إلى أن دهمت (التتر)*8 بغداد، وقتل ملكهم هولاكو المستعصم آخر خلفائهم ببغداد، فذهبت خزانة الكتب فيما ذهب، وذهبت معالمها، وأعفيت آثارها"**. (القلقشندي، 1987م، ص537).

5-ما أورده أحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني في مقدمة كتابه تبصير المنتبه فيقول: **" وأكبر الظن أن كثرة التأليف والإنتاج في هذا العصر كان من أسبابها: رغبة العلماء في إعادة ذلك التراث الذي عبثت به كوارث الغزو، وتجديد ذلك المجد الإسلامى الذي شيده المسلمون في دهور، فأخذوا يبذلون الجهد في التأليف والتصنيف لإصلاح ما أفسد التتار، وإنشاء كتب جديدة في اللغة والدين والأدب وغيرها"**. (العسقلاني، 1967م، ص4).

6-جمال الدين يوسف بن تغرى بردي: **"وخربت بغداد الخراب العظيم، وأحرقت كتب العلم التى كانت بها من سائر العلوم والفنون التى ما كانت فى الدنيا؛ قيل: إنّهم بنوا بها جسرا من الطين والماء عوضا عن (الآجرّ)*9، وقيل غير ذلك"**. (ابن تغرى بردي، 1963م، ص51).

7-قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي:" **ونهبوا الخزائن والأموال، وأخذ هولاكو جميع النقود وأمر بإحراق الباقي، ورموا كتب مدارس بغداد في بحر الفرات وكانت لكثرتها جسرا يمرون عليها ركباناً ومشاه، وتغير لون الماء بهذا والكتابة إلى السواد "**. (النهروالي، 1996م، ص206).

ثانياً: المصادر والمراجع التي نقلتْ حادثة الكتب والمكتبات

1-عبد الملك بن حسين العصامي: **"ونهبوا الخزائن والْأَمْوال وأخذ هولاكو جميع النقود وأمر بحرق الْباقي ورمى كتب مدارس بغْداد في دجلة وكانت لكثرتها جِسْراً يمرونَ عليها ركباناً ومشاة وتغير لون المَاء بحبرها إِلى السواد فأشارَ الوزير على الخليفة بمصانعتهم"**. (العصامي، 1998م، ص519).

2- نظمى زاده مرتضي افندي، وفيها يشمل بغداد بمبانيها كافة سواء كانت مدارس أو مكتبات أو قصور، وغيرها فيقول:" **وعلى قول بعضهم انه ظل -هولاكو- يرمي بغداد اربعين يوماً بكل**

DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781

شدة وبدون هواده ويسلط نيرانه عليها كالصواعق "، وقال:" واغاروا على دار السلام، ..... ثم نهبوا ممتلكات الخاص والعام"، ثم يعقب "واخرجوا دفائن دار الخلافة ونهبوا ودمروا أبنيتها وقصورها وساووا شرفاتها بالارض، بعدما ظلت ستة مائة سنة يصونها الخلفاء ويتعهدونها كابرا من كابر". (افندى، 1971م، ص127، 144-145، 147).

3-السيد محمود شكري الألوسي:" ولم تزل هذه المدرسة على ما كانت عليه زمن منشئها الى ان حدثت حادثة التاتار (يقصد التتار)، وخراب بغداد على ايدي الفجار، وما كان فيها من سفك الدماء، وقتل الانفس، وتخريب الديار، وسبي النساء والاطفال، وغير ذلك مما هو مفصل في بطون التأريخ، فجميع ما كان في هذه المدرسة من كتب وفرش ومر افق قد نهبه جند العدو المخذول، بل من الكتب ما رموا به الى دجلة قهراً لاهل العلم والدين، وبعد ان تولى امر بغداد من تولى عاد شمل المدرسة واهلها الى ما كان عليه)". (الالوسى، 1346هـ، ص97-98).

4-جرجى زيدان:" قلت المكاتب الكبرى لذهاب أكثرها حرقاً وغرقاً في أثناء الفتن، على ايدي المغول في المشرق ...، أما هولاكو فقد ذكر التاريخ اتلافه كتب العلم في بغداد، وان لم يعين مقدارها تماما". (زيدان، د.ت، ص123).

5-ادوارد جرانفيل براون:" أما الخسارة التي أصابت الحركة العلمية الإسلامية فلا يمكن وصفها مهما أعملنا ذلك ضروب الفكر والخيال; ولم يتحصر أثر هذه الكارثة في خسارة العديد الكبير من الكتب القيمة التي أبيدت تمام الإبادة، ولكنها امتدت فأهلكت من رجال العلم عددا كبيرا". (براون، 1954م، ص586).

6-الفيكونت فيليب دي طرازي:" تمادى هولاكو حفيد (جنكيز خان) *10 التتري في التعسف والتخريب والتدمير اثناء زحفه الى بغداد. فلم يُبقِ فيها اثراً للمخطوطات القديمة والذخائر الثمينة ..... و اقترف مثل ذلك الفظائع في دار الحكمة وفي خزائن كتب المدرسة النظامية والمدرسة المستنصرية الو اقعتين ضمن (سوق الثلاثاء) وفي غيرها من خزائن الكتب العامة والخاصة. فألقى بعضها في نهر دجلة فسد مجراه وجاز الناس على الكتب من جانب الى جانب كأنها جسر معقود. وبعضها الآخر استنفذ عزم النار الآكلة مدة غير قصيرة من الزمن حتى قضت قضاءها فيه ". (طرازي، 1947م، ص107).

7-محمد بن عبد الحي بن محمد الحسني الإدريسي المعروف بعبد الحي الكتاني: ينقل عن القلقشندي كما ورد سابقاً منْ أن خزانة الخليفة العباسي كان بها منْ الكتب ما لا يحصى كثرة ولا يقدمّ عليه نفاسةٍ، ولم تزل على ذلك إلى أن دهمت التتار بغداد. (الكتاني، د.ت، ص301).

8-حسن ابراهيم حسن:" وهدموا مساجدها ليحصلوا على ذهب قبابها، وجردوا القصور مما بها من التحف النادرة، و أتلفوا عدداً من الكتب القيمة في مكتباتها، وأهلكوا كثيرا من رجال العلم فيها ". (حسن، 1996م، ص152).

9-كوركيس عواد:" فمن أشهر الحوادث القديمة في هذا الشأن، ما حصل ببغداد حين سقوطها بيد هولاكو سنة 656هـ(1258م). فقد ذكر بعض المؤرخين ان المغول رموا كتب مدارس بغداد في بحر الفرات، فكانت لكثرتها جسراً يمرون عليها ركباناً ومشاةً، وتغير لون الماء بمداد الكتابة إلى السواد"، يهمش في أسفل الورقة فيكتب يريد به نهر دجلة. (عواد، 1986م، ص33).

10-ناجي معروف وهو يتحدث عنْ مكتبة المستنصرية والاعداد الهائلة منْ المؤلفات التي نقلها إليها المستنصر بالله العباسي فيقول في ختام حديثه: " ومن المستغرب جداً اننا لم نعرف من كتب المستنصرية التي وقفت عليها، أو التي ألفت فيها أو التي ماتزال باقية حتى اليوم إلا عدد محدود منها" حسب ما أوردها ناجي معروف في مؤلفه علماء المستنصرية حوالي سبعة كتب".

ثم يعلق الاستاذ السيد منير القاضي رئيس المجمع العلمي العراقي أثناء كتابته لمقدمة الكتاب فيقول:" انه بعد ما تحرى-يقصد

DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781

ناجي معروف-عن ما بقي من كتب المكتبة المستنصرية فوقف على (سبعة كتب) *11 فقط، اني لا أستغرب ذلك بعد ما علمنا فعلة التتار الهمجية الشنيعة النكراء في بغداد وما أخذوه من تقتيل وتخريب واحراق". (معروف،1379هـ/1959م، ص13-14، 271).

11-رفيق المهايني:" **والتهمت النيران نتاج قرائح العلماء والأدباء، وألقيت الكتب التي فيها لتلتهمها السن النار او تبتلعها مياه دجلة، وهكذا فقدت الإنسانية كنوز خمسة قرون، وفنيت زهرة الأمة فناءً تاماً".** (المهايني، 1946م، ص215).

12-لويسان بولا سترون:" **كانت توجد في أواسط القرن الثالث عشر ست وثلاثون مكتبة في العاصمة العباسية. وكانت أشهرها مكتبة المدرسة التي أسسها الخليفة المستنصر، إذا حمل إليها مئة وستون عتالاً ثمانين ألف كتاب لكن القدر كان لها بالمرصاد. فقد هجمت عليها عصابات هولاكو واستباحتها** ". وقال:" **فعلى الرغم من كل هذه الميول المعرفية-يقصد هولاكو-إلا أن قواته حرقت كل مكتبات العاصمة العباسية. بل ورمت خلال أسبوع كامل في نهر الفرات عدداً من الكتب يعجز عنها الوصف وقد شكل ذلك جسراً تمر عليه قوات المشاة من الجنود والفرسان. وأصبحت مياه النهر سوداء قاتمة بسبب حبر الكتب والمخطوطات. وهذا ما قاله لنا ابن خلدون بعد مئة وعشرين سنة من ذلك التأريخ** ". (سترون، 2010م، ص133، 135).

13-ريجارد كوك:" **وتم خراب المدينة بشبوب حريق كبير فيها. وقد التهمت النيران المباني الرئيسة ودمرت كثيراً منها. ومنيت الضواحي بويلات هذه الكائنة ايضاً. ومنها المشهد الكاظمي، وقبور الخلفاء في (الرصافة)، وجامع الرصافة، وأصبحت جلّ الدور والدكاكين أخربة وركاما".** (كوك، 2014م، ص215).

14-الباحثين عبد الستار مطلك درويش، عبد المنعم حامد عبد علي نقلا:" **وذكر بعض المؤرخين ان بيت الحكمة الذي كان يضم المؤلفات الكثيرة والدواوين الضخمة، بقي حتى احتل المغول بغداد فذهب واعفيت آثاره** ". ونقلا ايضاً:" **لا ريب في ان خزانات كتب بغداد والبصرة والكوفة وواسط والموصل التي كانت تضم اعداداً من الكتب التي اختفت من الوجود بسبب ما تعرضت له من حرق، ونهب و إتلاف خصوصاً عندما احتل المغول بغداد سنة 656هـ/ 1258م** ". (درويش، عبد علي، 2013م، ص500-501).

ثالثاً: المصادر التي سكتتْ عن حادثة الكتب والمكتبات

1-شيخ الإسلام وقاضي القضاة أبي عمر منهاج الدين عثمان بن السراج الجوزجاني في مؤلفه طبقات ناصري بجزئيه الأول والثاني.

2-الخواجة محمد بن محمد بن الحسن الطوسي المعروف بنصير الدين الطوسي عن رسالته المشهورة بـ (رسالة استيلاء المغول على بغداد).

3-العلامة غريغوريوس أبي الفرج بن هرون الملطى المعروف بابن العبري في مؤلفيه مخطوطة تاريخ الأزمنة، وتاريخ مختصر الدول.

4-قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني في مؤلفه ذيل مرآة الزمان.

5-عبد الرزاق بن تاج الدين المعروف بابن الفوطي الحنبلي البغدادي في مؤلفيه الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، ومجمع الآداب في معجم الالقاب.

6-رشيد الدين فضل الله الهمذاني في مؤلفه جامع التواريخ الذي أفرد فيه الجزء الأول من المجلد الثاني ليفصل فيه تاريخ الإيلخانيون هولاكو وأولاده.

7-صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق القطيعي البغدادي الحنبلي في مؤلفه مراصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع.

8-محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا في مؤلفه الفخري في الآداب السلطانية.

9-شيخ الإسلام أحمد بن تيمية في مؤلفه مجموع الفتاوي.

10-أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي عمر بن شاهنشاه بن أيوب في مؤلفه مختصر أخبار البشر.

DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781

11-شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي في مؤلفيه تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، والعبر في خبر من غبر.

12-شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد البكري المعروف بـ النويري في مؤلفه نهاية الأرب في فنون الأدب.

13-صلاح الدين محمد بن شاكر الكتبي في مؤلفه فوات الوفيات.

14-صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي في مؤلفه الوافي بالوفيات.

15-عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي في مؤلفه البداية والنهاية.

16-تقي الدين أحمد بن علي المقريزي في مؤلفه السلوك لمعرفة دول الملوك.

17-عبد الحي بن أحمد بن محمد المعروف بابن العماد الحنبلي في مؤلفه شذرات الذهب في أخبار من ذهب.

رابعاً: الرأي الخاص بالروايات المتعلقة بالكتب والمكتبات استناداً إلى المصادر والمراجع التي دونت حوادث سنة 656هـ/1258م. (تدمير، حرق، إغراق)

بعد أن استعرضنا أهم المصادر والمراجع التي دونتْ مرحلة الغزو المغولي لبغداد سنة 656هـ/1258م، ووقفنا على حوادث تلكَ السنة التي تفاوتت بينَ منْ دونتْ حادثة ضياع وإتلاف كتب ومكتبات بغداد وأكدتْ عليها، وبينَ منْ سكتتْ عن ذكرها، سوف نقف قليلاً على طبيعة تلكَ المصادر والمراجع لبيان مدى صحة ما ورد فيها من أخبار، لاسيما وأن بعضَ من دون تأريخ تلكَ المرحلة منْ الغزو حسب ما يشير إليها محمد مفيد في مؤلفه إنهم اتخذوا منْ ذلكَ ذريعة لتصوير ما تعرض له العالم الإسلامي منْ تخريب وتدمير. (آل ياسين، 1399هـ/1979م، 97).

أول تلكَ المصادر وأقدمها خلال تلكَ المرحلة هو ما نسب لتاج الدين بن الساعي البغدادي في مؤلفه مختصر أخبار الخلفاء كونه عاش خلال المدة (593-674هـ/1196-1276م) وهي مدة معاصرة جداً لأحداث الغزو، وهو من أهالي بغداد ومنْ الخزان المعروفين فيها، إذ كان خازناً على أعظم خزائن الكتب في عصره وهما خزانتا كتب المدرستين النظامية والمستنصرية حتى أطلق عليه لقب(الخازن)، لذا؛ كان من الذين تواجدوا في زمان الغزو المغولي للمدينة، فمن الطبيعي أن يتمسك المؤرخون بهذا المؤلف **(على الرغم من أن الكثير من الدلائل تشير أنه نسب له ولا يعود إليه)** وبما ورد فيه من أخبار. (ابن الساعي، 2009م، ص10).

لكن قبل الجزم بأن المصدر منسوب لابن الساعي وليس له، يمكننا أن نقف على بعضَ الحقائق التي وردت فيه منها أن النص الذي نقل عنْ الكتاب فقد وردت فيه كلمة بلفظة **"يقال"** وهذهِ فيها دلالة على الشك كون ابن الساعي وهو مؤرخ كبير معروف بينَ مؤرخي عصره، وكان ببغداد في زمان الحادثة، ومن الذين نجوا منها كونه توفي سنة 674هـ/1276م فلماذا يشكك ولا يجزم وهو شاهد عيان على الحادثة، ليس هذا فقط، بل أن القارئ لدى عودته إلى كتاب المختصر يجد أن منْ دونه يبدأ حديثه مرة أخرى بكلمة **"قال" (الشيخ الفقيه العلامة الفاضل المتفنن علي بن أنجب يعرف بابن الساعي البغدادي رحمه الله رحمة واسعة)** ويكمل "وبعد"**(فهذا دفتر مختصر وسفر مختصر سميته أخبار الخلفاء)**" كأنه لمؤلف مجهول وينقل عنْ ابن الساعي، ولا توحي لفظة يقال أو قال إلى أنه أخفى نفسه تخوفاً من المغول لأن من دونْ منْ معاصريه قد روى بكل حرية كل ما رأوه من أعمال سواء في القتل أو التدمير هذا منْ جانب، ومنْ جانب آخر أن ابن الفوطي البغدادي نص في مؤلفه عندما ذكر ترجمة ابن ابي الحديد، أنه عندما أخذت بغداد كان ابن ابي الحديد ممن نجا من القتل في دار الوزير مؤيد الدين بن العلقمي مع أخيه موفق الدين، وحضر فيما بعد بينَ يدي العلامة نصير الدين الطوسي وفوض إليه أمر خزائن الكتب ببغداد مع أخيه موفق الدين والشيخ تاج الدين ابن الساعي، وهذا ما ورد في كتابه تاريخ ابن الساعي الذي جمعه وحققه محمد عبدالله القدحات، إذ يذكر أنه كان ضمن الذين نجوا منْ القتل في سنة

DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781

(656هـ/1258م)، وفوض إليه نصير الدين الطوسي أمر الإشراف على خزائن الكتب العامة، وكان الإشراف على خزائن كتب المدرسة المستنصرية هو منْ نصيب ابن الساعي ووصفها بأنها لا تضاهيها أين من مكاتب العالم في القرنين السابع والثامن الهجري، ثم يعقب إن انشغاله كخازن للكتب في المدرستين النظامية والمستنصرية ساعده على الاطلاع على مختلف صنوف المعرفة لا سيما في الجانب التأريخي الذي أثر في ما بعد على طريقة تدوينه لمؤلفاته، وهذا ما أكد عليه محمد مفيد في الهامش 29، (ص103)من كتابه الحياة الفكرية من أن تولي ابن الساعي للخزائن ومعه أخيه موفق الدين بأنها وردت في شرح نهج البلاغة في ترجمة عز الدين بن ابي الحديد التي نقلها رئيس لجنة التصحيح بمكتبة دار الكتب العربية الكبرى الشيخ محمد الغمراوى وهذهِ النسخة توافق ما ورد في روضات الجنات للخونسارى في ترجمة ابن ابي الحديد المذكور مما يشير إلى أنهما نقلا من مصدراً واحد، أو من نسخ متعددة تعود لأصل واحد. وبالتالي أن في ذلك دلالة واضحة على بقاء خزائن كتب بغداد على حالها بحيث تطلب الأمر تعيين ثلاثة من كبار أدباء ومؤرخي العصر للإشراف عليها وإدارتها، فكيف يمكن التوفيق بينَ إتلاف الكتب وبينَ خبر تعيين خزان عليها. (مؤلف منسوب لابن الساعي، 1309هـ، ص2، 127)، (ابن ابي الحديد، د.ت، ص15)، (آل ياسين، 1398هـ/1979م، ص102-104)، (القدحات، 2010م، ص13).

وما سبق يدل لنا على مدى اهتمام السلطة الجديدة بأمر الكتب وسعيها للمحافظة عليها منذُ الأيام الأولى لسقوط بغداد، وهذا ما أكد عليه ابن الفوطي في مؤلفه مجمع الآداب أنه لدى عودته بدعوة منْ علاء الدين الجويني إلى بغداد سنة 679هـ/1280م، كانت بغداد تحت ولايته وبحكم آباقا خان بن هولاكو فيذكر: أنها قد عادت إلى حالة الازدهار والطمأنينة وجرت فيها أمور مدارسها ومساجدها ومشاهدها وربطها أفضل من حالها في عهد الخليفة المستعصم بالله العباسي. (ابن الفوطي، 1416هـ، ص25)، (آل ياسين، 1399هـ/1979م، ص103-104).

والذي يضعف الأخذ بخبر هذا الكتاب من أن فيه أخبارا أخرى لا يمكن الركون إليها مثل خبره عن إسلام هولاكو بطريقة عجيبة وهو ما نص عليه عندما رواها مع أحد المشايخ في بغداد وهو الشيخ يعقوب مخدوم الذي قدم إليه هولاكو فقدم له نصيحة، فطلب منه هولاكو حجة ظاهرة ليعلن إسلامه فذكر لنا قصة النار العظيمة التي أوقدها وشربهم النحاس المذاب والسموم القاتلة التي لم تصبهم بالضرر فأسلم هولاكو على أثر ذلك قبل أن يتوفى بشهرين، أما خبره الأخر فهو عن أبي سعيد أخر سلاطين المغول الإيلخانيون فكيف ينقل عنه وهو قد توفي قبله بأكثر من ثلاثين سنة. (مؤلف منسوب لابن الساعي، 1309هِ، ص128-129)، (آل ياسين، 1399هـ/1979م، ص104-105).

لذا: أن كل هذهِ الأمور تحملنا على الشك في مدى صحة ما ورد عن إتلاف المغول لكتب بغداد من منظور هذا الكتاب هذا من جانب، ومنْ جانب أخر أن هذهِ (الأمور) تدعونا إلى الجزم بأن مؤلف مختصر أخبار الخلفاء ليس لابن الساعي بل لشخص أخر، ويمكن أن نضع عدة احتمالات حسب ما ينقل لنا المحقق يوسف الهادي في بحثه (**هل من صلة بين كتاب مختصر أخبار الخلفاء و ابن الساعي**) فيذكر ما يأتي: أن هنالك كاتبٌ قد ألف هذا الكتاب ونسبه لابن الساعي كي يضفي عليه شيئاً من القبول لدى قرائه، لما عرف عن ابن الساعي من كونه مؤرخاً مرموقاً ومعروفاً بين مؤرخي القرن السابع الهجري. أما الاحتمال الأخر أن يكون المؤلف قد أخذ خطوط كتابه العريضة ورؤوس أقلامه من أحد مؤلفات ابن الساعي وحشاها بما رآه مناسباً لكتابه، ولربما زاد في كتابه تلك الزيادات ولم ينتبه إلى الوقائع والتواريخ التي ربطت بينَ وفاة ابن الساعي وما نقله من أحداث في نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن الهجرين. وفي النهاية تبقى هوية مؤلف الكتاب مجهولة لنا. (الهادي، 2010م، ص87-88).

DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781

ومن المصادر الأولية الأخرى التي أدانت المغول بإغراق كتب بغداد في دجلة هو ما ورد عن ابن خلدون من أنهم القوا كتب العلم في نهر دجلة ثأراً لما فعله المسلمين بكتب الفرس وعلومهم. فكما نعلم أن ابن خلدون تونسي الأصل والمنشأ قضى بها طفولته قبل أن يبدأ بالتنقل ما بينَ المغرب العربي وغرناطة والاندلس حتى انتهى به المطاف في مصر، عاش خلال المدة(732-808هـ/1332-1406م)، وعلى الرغم منْ أنه لم يعاصر واقعة بغداد فقد ربط بينَ حادثة إتلاف الكتب وحادثة إتلاف المسلمين لكتب الفرس وعلومهم عند الفتح الإسلامي، في حين أن الحادثة الثانية لا اساس لها لأن المسلمين لم يتعرضوا لمؤسسات الثقافة في البلاد المفتوحة بأي أذى، بل ساعدوا على تطويرها وازدهارها، ويشير أخرون أن هذا الاتهام هو جناية كبيرة اتهم بها المسلمين لأنهم عاملوا سكان البلاد المفتوحة معاملة حسنة وسمحوا لهم بممارسة طقوسهم بكل حرية وابقوهم على كنائسهم ومعابدهم، ليس هذا فقط، بل أقدم القائمون على بيت الحكمة على ترجمة كتب الاعاجم من الفرس واليونان وحفظوها من التلف والضياع، وهذا الأمر ليس بعيداً عن العرب كونهم شغوفين بحب العلوم والمعارف بغض النظر عنْ الاديان والمعتقدات التي كان يدين بها مؤلفي تلكَ العلوم والمعارف.(آل ياسين، 1399هـ/1979م، ص106)،(الزركلي، 2002م، ص330)، (درويش، عبد علي، 2013م، ص496).

ومن جانب آخر أن منْ الغريب أن ابن خلدون كيف لا يفرق بين المغول والفرس، وهما شعبان على عداء دائم، فكيف يثأرون لأعدائهم. ناهيك عن المرحلة الزمنية التي تفصل فتوحات المسلمين في المدائن عن المرحلة التي ظهر بها المغول وقدموا إلى عاصمة الخلافة في السنة المذكورة فهو يقارب الخمسمائة سنة من تأريخ وصولهم إلى بغداد. (آل ياسين، 1399هـ-1979م، ص106).

والأهم منْ ذلكَ أن من نقلوا الرواية لم يكملوا ما تحدث عنه ابن خلدون في كتابه: (أنه عندما اعتزم هلاكو-يقصد هولاكو-على إضرام بيوتها ناراً فلم يوافقه أهل مملكته)، يؤيده في ذلك ما رواه النويري الذي اختتم فصله استيلاء التتار على بغداد بقوله:(ثم عزم هولاكو على إحراق مدينة بغداد، فمنعه كتبغا نوين، وقال له: هذهِ الأرض أم الاقاليم ويتحصل منها الأموال العظيمة ومصلحة دولتنا إبقاءها، فإبقاها ورتب فيها شحنة لإدارتها). (النويري، 1423هـ، ص383)، (ابن خلدون، 2000م، ص613).

ومع ذلك يقول ابن خلدون في ختام حديثه والله أعلم وهذا يدل أنه سمع وأخذ مما روي عند منْ سبقه لا سيما وأنه عاش خلال المدة(733-808هـ/1332-1406م)، أي بعد الواقعة إذا ما استثنينا مرحلة الإدراك خمسة وعشرون سنة.

ولا يختلف الأمر عما رواه المؤرخ والنسابة جمال الدين بن علي الحسيني المعروف بابن عنبة الحلي الذي عاش خلال المدة (748-828هـ/ 1347-1424م) وعلى الرغم أنه اشاد بمكتبة المستنصر بالله إلا أن عبارته يكتنفها الغموض فلم يبين لنا سبب اختفاء الكتب من المكتبة معلقاً عليها بكلمة (والظاهر)، ويختتم حديثه بعبارة والله الباقي. (ابن عنبة، 1380هـ/1961م، ص1، 206).

وما رواه المؤرخ والأديب شهاب الدين أحمد بن علي القلقشندي الذي عاش خلال المدة (756-821هـ/1355-1418م)، ويعلق محمد مفيدي على ما رواه لنا فيقول بما معناه: (إنه وعلى الرغم من كونه مصري بعيد كل البعد عن حادثة سقوط بغداد كونه ولد في سنة 1355م/756هـ أي بعدَ حوالي أكثر منْ مائة سنة، فيعلق أن عبارته لا تخلو من الغموض أيضاً. فلعل من أوصل تلكَ الأخبار إليه وإلى غيره من المؤرخين المصريين هو عن طريق من لجأ إلى مصر منْ العباسيين وانصارهم الذين سعوا إلى أثارة مشاعر الناس ضد الغزو المغولي وأثاره عليهم وعلى سلطانهم، هذا من جانب، ومن جانب آخر أن مصر كانت تطمح دائماً للزعامة لتكون مركزاً للعالم الإسلامي بدلاً منْ بغداد واتخذت منْ محاولة إعادة الخلافة العباسية وسيلة للحصول عليها، فكان بث مثل هكذا إشاعات يعد امراً ضرورياً تحقيقاً لأغراضها السياسية. (آل ياسين،1399هـ/1979م، ص107).

DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781

ولا نطيل تفصيلاً فيما رواه محمد بن عبد الحي بن محمد الحسيني المعروف بابن عبد الحي الكتاني الذي عاش خلال المدة (1305-1382/ 1888-1962م)، الذي أعتمد عليه الباحثين فهو معاصر جداً لزماننا هذا وبعيد كل البعد عن زمان وقوع الحادثة والأهم من ذلكَ أنه ينقل روايته عن القلقشندي وقد وضحنا صحة ما ورد في خبره أعلاه.

فيما يتعلق بما رواه ابن حجر العسقلاني من أن العلماء سعوا إلى تجديد النتاج الذي دمره المغول وأنهم أخذوا يبذلون الجهد في التأليف والتصنيف لإصلاح ما أفسد، فيمكن القول أن الباحث يظن للحظة أن المغول دمروا البلاد وقضوا على الثقافة العربية الإسلامية في العراق بشكل كامل، وأن المدينة التي أصبحت في يوم منْ الأيام مركز للعالم الإسلامي لم تستطع أن تستعيد مكانتها، لكن في الواقع أن بغداد نفسها بقيت محافظة على ما تمتعت به من مكانة علمية وثقافية، ليس فقط بفضل جهود علمائها ومفكريها الذين واصلوا نتاجهم الثقافي والعلمي والأدبي، بل أيضاً بجهود القائمين عليها ممن تم تعيينهم وتكليفهم في إصلاح وإدارة بغداد من قبل هولاكو خان، فقبل مغادرته بغداد أصدر أوامره بإصلاح مساجدها ومدارسها وأسواقها والمناطق الخربة فيها، وقد اسند هذهِ المهمة لأبو المعالي عمر بن صدر الدين محمد القزويني المتولي على العراق وهو منْ أعيان قزوين ذكره ابن الفوطي في ترجمته في كتابه مجمع الآداب واشار إليه فيقول:" **لما أنفذ الله قضاءه وقدره، وقتل الخليفة وخربت بغداد وعطلت بيوت الله، تداركهم الله بلطفه فاتاح لهم عناية عماد الدين فقدمها وعمر المساجد والمدارس، ورمم المشاهد والربط، وأجرى الجرايات في وقوفها للعلماء والفقهاء والصوفية، وأعاد رونق الإسلام بمدينة السلام**". (ابن الفوطي، 1416هـ/1995م، ص125-126)، (الحمداني، 2013م، ص178).

وعندما ولي علاء الدين بن شمس الدين محمد الجويني على العراق (657-681هـ/ 1259-1283م)، حرص على تشجيع النتاج العلمي من خلال رعاية المكتبات والمدارس ودور العلم وعمارتها وتجميلها وصيانتها، فعادت المدارس إلى القيام بمهامها التعليمية، وعاد العلماء إلى حلقاتهم الدراسية ونالوا الدعم والتشجيع من صاحب الديوان بأجزاله العطاء والمكافأة لهم لينشطوا في التأليف والكتابة. (الربيعي، 1427هـ/2006م، ص9-11، 350، 353، 356).

أما فيما يتعلق بما رواه ابن تغرى بردي من خراب بغداد وإحراق كتب العلم، ثم يستهل نصه فيقول: قيل إنهم بنوا بها جسراً؛ وما رواه النهروالي منْ أنهم رموا كتب مدارس بغداد في نهر الفرات وليعظم الحادثة ذكر بأنها لكثرتها أقاموا منها جسراً يمرون عليه ركباناً ومشاة حتى تغير لون الماء إلى السواد، وراح بعضَ المؤرخين يدينون هذا الفعل استناداً إلى ما ذكروه، فقد نقلْ عنهما الكثيرون منهم: العصامي والألوسي وجرجي زيدان ودي طرازى وكوركيس عواد وناجي معروف ورفيق المهايني ولوسيان وغيرهم منْ المؤرخين المحدثين، لكن بإمكاننا العودة إلى الوراء شيئاً فشيئاً لنعلق على كل فقرة من الفقرات التي أوردوها ابن تغرى بردي والنهروالي في النصوص التي تناقلتها المصادر والمراجع:

بداية أن منْ ينقل حادثة حرق الكتب هو ابن تغرى بردي وهو مؤرخ مصري عاش خلال المدة (1411-1470م)، أي بعد حوالي مائة وخمسون سنة إذا ما استثنينا سنوات النضج والإدراك، ثم يعود في النص نفسه ليستند على كلمة يقال فهو ينقل الرواية عن آخرون ربما لجئوا إلى مصر في وقتٌ لاحق. وليس بين أيدينا أي مصادر تشير إلى زيارة ابن تغرى بردي إلى بغداد.

ذكرنا سابقاً عندما تحدثنا عن القلقشندي أن مصدر هذهِ الأخبار هم لجئوا إلى مصر منْ العباسيين وأنصارهم ممن أرادوا بها أثارة الناس ضد الغزو المغولي الذي قضى على خلافتهم، في الوقت الذي كانت فيه مصر ترى أن الزعامة تليق بها أكثر من بغداد لتصبح مركزاً للعالم الإسلامي بدلاً عنها، وقد اتخذت منْ إعادة الخلافة العباسية وسيلة لذلكَ خدمةً لأغراضها السياسية لا أكثر. (آل ياسين، 1399هـ/1979م، ص107).

DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781

أما النهروالي فهو مكي عاش في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي خلال المدة(917-990هـ/1511-1582م)، بينه وبينَ الحادثة ما يزيد على ثلاثة قرون، ويشير محمد مفيد منْ أنه تأثر بما ورد في المصادر المغربية والمصرية، أضافة لما ورد من عبارات في كتابه فهو لا يدري أين تقع بغداد، ثم أن الفرات الذي رميت به الكتب وتغير لونه بتأثير مداد الكتابة إلى السواد وصارت الكتب جسراً يعبر عليه الناس مشاة وركباناً هذهِ العبارات تشي بالخيال، فلعله اقتبسَ فكرة الجسر من ما رواه ابن تغرى بردي، وما أخذه من ابن خلدون منْ أن المغول رموا الكتب بدجلة حتى تصور له أن اعداد الكتب الهائلة التي رميت بدجلة قد شكلت جسراً عبر عليه الناس مشاةً وركباناً فهو اجزم بذلكَ، في الوقت الذي يكون فيه ابن تغرى بردي لا يجزم في الأمر، بل يروي لنا قصته على صورة رواية.(آل ياسين، 1399هـ/1979م،ص107).

هذا كل ما يتعلق بما ورد منْ نصوص وتفسيرها ظاهرياً، أما إذا أردنا أن نفسر النصوص نفسها في إطار الوقائع التأريخية التي حصلت خلال تلكَ المرحلة، وفي إطار الواقع المكاني والسياسي للدولة المغولية وبغداد في المرحلة نفسها، فهي كما يأتي:

انطلقت قضية حادثة كتب ومكتبات بغداد من ثلاث اتجاهات (الحرق، والإغراق، والتدمير)، وهي جميعها تؤدي إلى نتيجة واحدة وهي فناء النتاج العلمي والمعرفي للحضارة العربية الإسلامية، لكن إذا ما أردنا أن ننظر إلى هذهِ القضايا منْ الاتجاه المعاكس سوف نقفْ على حقائق مختلفة منها: المدة التي اجتاح بها جيش هولاكو بغداد، فنحن على علم ودراية وبشهادة المصادر الاولية على ذلك منْ أن التركيز الأول لأي جيش منتصر في الحرب يكون على الغنائم من ممتلكات وأموال ومجوهرات وكل ما هو ثمين يجده في البلاد المفتوحة، لذلكَ لم يكن لجيش هولاكو الذي كان أمامه فقط أياماً قليلة لا تتجاوز سبعة أيام من 7صفر 656هـ ولمدة سبعة أيام على التوالي أن يطيل المكوث في بغداد نظراً لما أصاب المدينة من وباء، فضلاً عن ارتفاع روائح الجثث المتفسخة جعل من الصعب على الغزاة المغول أن يطيلوا مدة البقاء، ناهيك عنْ محدودية المدة المقررة لكل قائد مغولي وجنوده ليمكثوا فيها بالمدينة، إذا جعل هولاكو لكل أمير أو قائد مدة معينة ليقتل فيها ويأسر وينهب، فقسمها حسب طبقاتهم الاجتماعية،

فمنهم من جعل لهم ثلاثة أيام، ولبعضهم يومين، ولبعضهم الآخر يوماً واحداً، إذا كانوا على عجلةً من أمرهم لإتمام عمليات السلب والنهب فكانوا يتدفقون في محلات المدينة ودروبها ولا سيما أصحاب الأموال والثروات والتجار فيأخذون ما يجدونه فيها ثم تجهز لهم المأدبة للأكل والشرب، ويجهزون لهم مجلساً ملوكياً بحكم ثراء أصحاب هذهِ الدروب والأحياء، ويغني في المجلس الجواري والمغنيات. فأمام هذا كله لم يكن لجنود المغول الوقت الكافي لينشغلوا بالبحث عنْ المكتبات وسلب كتبها وحملها على عربات والتوجه بها إلى نهر دجلة (بحكم قربه منْ مركز المدينة ومؤسساتها)، ولو أفترض أن هناك بانتظارهم جنوداً آخرون ينزلون هذهِ الكتب إلى المياه ليرصفونها بطريقة لا تسمح بإغراقها لتشكل فيما بعد جسراً يعبر منه المغول بين جانبي المدينة، ويستمرون على هذا الحال ليتم عمله في الوقت الذي يكونون فيه متلهفين لكسب الغنائم, فهم منْ شدة طمعهم أغاروا على قبور الخلفاء العباسيين التي بالرصافة ونبشوا القبور، ويرى أن السبب الوحيد لذلك هو ما تحويه تلكَ القبور من زخارف تبهر الابصار وعلقت بها مناديل كثيرة منْ الذهب والفضة، ومغطاة بإستار من الديباج والحرير التي تفوح منها روائح العطور، ويفسر سبب نبشهم للقبور لاعتقادهم أنها تضم تحفاً أو كنوزاً مع الأموات أو إنها تمويه منْ أن الأحياء وجدوا منها مكاناً أمناً لكنوزهم، وهو رد فعل طبيعي جداً كون خليفتهم كان يخبئ كنوز أعوام طويلة منْ عمر الخلافة العباسية في باحة قصره، فأجبره هولاكو على أخراجها، لذا فأن أي ضابط أو جندي لو لاحظ قليلاً منْ أنه يوجد في هذهِ المكتبات وبين ثنايا كتبها ذهباً أو مقتنيات لما ترددوا في مهاجمتها أو تمزيقها أو

DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781

احراقها من أجل الحصول على تلكَ الغنائم. فضلاً عنْ اشتداد روائح جثث القتلى، والوباء الذي ضرب المدينة هذا منْ جانب، ومنْ جانب آخر لم نجد أي مصدر يشير إلى تدمير جسور بغداد أثناء عمليات الغزو، وهذا يعني أنها بقيت أمنة، فلم المغول يقدمون على عمل جسر منْ الكتب في الوقت الذي تكون فيه جسور بغداد لا تزال قائمة. (الهادي، 1443هـ/2021م، ص113-116، 119-121، 127).

عرف المغول ببراعتهم الحربية ومهاراتهم بإقامة الجسور ويعود الفضل بذلك إلى وجود مهندسين صينيين معهم فكانت الجسور التي أقاموها مصقلة بسلاسل منْ الحديد فلا حاجة لعمل جسر منْ الكتب في قاع نهر دجلة المتدفق حيث ستجرفها المياه أول بأول، فقد كان نهر دجلة الذي يتراوح طوله منْ مجراه وحتى مصبه في بحر البصرة طولاً وعرضاً ثلاثمائة فرسخ(**يعادل الفرسخ الواحد 6 كيلومترات**)، أي ما يقارب الألف وثمانمائة كيلو متر ومقدار البطائح ثلاثون فرسخاً (180 كيلو متر) طولاً وعرضاً، وهي كثيراً ما كانت تفيض حتى كان يخشى على أهالي بغداد من الغرق، ولا ننسى ما أصاب بغداد خلال عهد الخليفة المستعصم بالله من فيضانات والتي اشار إليها أحمد سوسه في مؤلفه، فيذكر أن بغداد في أواخر العهد العباسي قد أصابتها ثلاثة فيضانات بين سنتين 646 و 654 هـ، الأول في سنة 646هـ/1249م فغرق الجانب الشرقي بما فيه منْ محلات وأسواق وانكسر القورج فيها، وغرقت المناطق القريبة من المدرسة المستنصرية التي ارتفعت فيها المياه ما يقارب ثلاثة أمتار في الوقت الذي غرق فيه الجانب الغربي بأسره. (النويري، 1423هـ، ص269)، (سوسه، 1963م، ص331)، (هنتس، 1970م، ص94)، (الهادي،1443هـ/2021م، ص114).

أما الفيضان الثاني فكان في سنة 653هـ/1255م، فشمل نهري دجلة والفرات وغرق القسم الأكبر من المدينة وتهدمت عدة مساجد وجوامع، وبلغ عدد الدور المهدمة حوالي اثني عشر ألف وثلاثمائة ونيفاً وسبعين داراً على الجانبين، وشمل الغرق حائط رواق المدرسة المستنصرية. وحدث الفيضان الأخير سنة 654هـ/1256م فاض نهر دجلة وغرقت أغلبية مناطق الجانب الشرقي حتى وصل الماء إلى المدرسة المستنصرية وصار بها حوالي المترين من العمق حتى وصل ذلك الغرق إلى نهر عيسى والدجيل الذين فاضا فإتلافا زروعاً كثيرة. (سوسه، 1963، ص333-335).

ولم تنتهي الفيضانات عند هذهِ السنة، بل استمرت إلى ما بعد سقوط بغداد في العهد الإيلخاني خلال السنوات 676هـ، 683هـ، و685هـ وهو أمر طبيعي فلا راد لأمر الله وقضاءه. ليس هذا فقط، بل يذكر النويري أن هولاكو ترك بغداد بعد انقضاء الشتاء وتوجه بجيشه إلى الشام إلا يدل هذا أن الوقت هو أمطار وبالتالي ارتفاع مناسيب النهر، وهذا ما اشار إليه ابن الفوطي في كتابه الحوادث:(أن هولاكو أمر بعمل جسر تحت بغداد ليمنع منْ ينحدر إليها من أهالي واسط فكانت السفن عندما تصل إليه تؤخذ منها ما بها منْ ممتلكات، ويقتل أفرادها، حتى قتل خلقاً كثيراً، فالمياه التي تسير السفن إلا يمكنها أن تغرق الكتب. (ابن الفوطي، 1424هـ/2003م، ص233)، (النويري، 1423هـ، ص383)، (سوسه، 1965م، ص354).

فأين كنوز خمسة قرون، وأين الأعمار وأين هي كتب المستنصرية والمياه تغمرها منْ كل جانب، الم تتلف تلكَ المؤلفات بفعل الفيضانات ويذهب حبرها، (ألم يقم هولاكو بزيارتها في أعقاب الغزو وكانت على ما هي عليه، وبها علمائها)، وأين إصلاحات المستعصم بالله وهو يكنز الكنوز بباحة قصره ويقول: بغداد تكفيني، ألم يستنكر عليه هولاكو ذلكَ عندما انتهى الغزو وأخرجتْ تلكَ الأموال، فقال له: (عندما قدم له طعاماً منْ تلكَ الكنوز أجابة له عندما قال: أنها لا تزيل الجوع، فرد عليه إذا كانت تلكَ الأموال لا تزيل جوعك، ولا تستطيع فيها تخليص نفسك منْ الأذى والموت، فلماذا لم تعطها لجنودك ليحموك) فأمام هذا الوضع المتدهور عسكرياً واقتصادياً بتأثير الفيضانات وغيرها، فأين هو الأعمار وأين هو الازدهار، ألم يدينوا ابن العلقمي ونعتوه بالخائن وجعلوه المتسبب الأول لسقوط بغداد،

DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781

لتبرير الاهمال والتسيب الذين سيطرا على العراق منذُ بداية الغزو المغولي، كيف يتهم وهو سعى أن يحافظ على البلاد والعباد أمام هذهِ الأوضاع المتدهورة، وهذا ما اشار إليه ابن الطقطقا عندما ذكر ابن العلقمي منْ أن الخليفة هو من أرسله للتفاوض مع هولاكو ونال استحسانه، فضلاً عن شخصية الخليفة المهزوزة التي تأخذها أراء حاشيته يميناً ويساراً.

(ابن الفوطي، 1424هـ/2003م، ص317)، (ابن الطقطقا، د.ت، ص338)، (معروف، 1379هـ/1959م، ص11)، (خصباك، 1968م، ص42-43)، بدر، 1999م، ص135).

كيف تعقد تلك المؤلفات جسراً وهي عبارة عن ورق من نوع الكاغد الصيني، ألم تتلف تلك الأوراق أمام هذا الكم الهائل من المياه، تلكَ المياه التي تحرك السفن فكيف تبقى الحبر ويراه الناس والمياه بارتفاع متزايد وحركة الجريان لا تزال مستمرة، إذن كيف بنيت كتب العلماء والعلم فيها، ناهيك عن حركة مهنة الوراقين الذين كانوا يقومون بنسخ الكتب وتصحيحها وتجليدها وبيعها، كانت قد توقفت في بداية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي ويعود ذلكَ لأسباب داخلية وخارجية متعددة أدت إلى الجمود والتقهقر لما اسماء المؤرخون بالعصور المظلمة، هذا ما اورده عليان في مؤلفه فهو يثبت ما روي منْ أن قضية نسخ الكتب قد ضعفتْ على المستوى العام وارتبطت بمصر ونساخها خلال تلكَ المرحلة، وأكثر ما يثبت ذلكَ هو مؤرخ توفي بداية القرن السابع الهجري وهو جمال الدين بن الجوزي(ت.597هـ/1201م)، فيذكر في كتابه صيد الخاطر:(**أن همم القدماء كانت عالية تدل عليها تصانيفهم، التي هي زبدة أعمارهم، إلا أن أكثر تلكَ التصانيف اندثرت، لأن همم الطلاب ضعفت فصاروا يطلبون المختصرات ولا ينبسطون للمطولات، ثم اقتصروها على ما يدرسون به من بعضها، فاندثرت الكتب ولم تنسخ**).(ابن الجوزي، 1425هـ/2004م، ص453)، (عليان، 1420هـ/1999م، ص89، 99-100).

أما إذا كانت اشارة المؤرخ على أنه نهر الفرات، فنهر الفرات عندما يخرج منْ مجراه منْ هيت والأنبار ينقسم قسمين: أحد هذهِ الاقسام تسمى نهر عيسى (وهو منسوب لعيسى بن علي بن عبد الله بن عباس) وهو ينتهي إلى بغداد ويمر فيها حتى يصب بنهر دجلة، وحسب ما يذكر أن طول الفرات عندما يخرج منْ ملطية وحتى يصل إلى بغداد حوالي ستمائة فرسخ وثلاثة وعشرون فرسخاً (بما يعادل 3738كيلو متر) يتوزع عندها الفرات على مجموعة من الانهار والجزائر. وهذا ما اشار إليه ابن جبير في رحلته قبل النويري فيذكر ان المياه التي تصل منْ نهر الفرات إلى بغداد كانت تتم عنْ طريق نهر عيسى الذي كان يتفرع منْ الجانب الأيسر لنهر الفرات، ويدخل إلى بغداد في الوقت الذي نجد فيه نهر دجلة يشطر بغداد إلى شطرين: جانب شرقي لدجلة وجانب غربي لها. ولا ننسى أن ما رواه المؤرخين من خراب كانوا يتحدثون فيه في الجانب الشرقي فقط، كون أغلب بنايات بغداد الرئيسية تقع في الجانب الشرقي بالقرب منْ نهر دجلة، أما الجانب الغربي فلم يمسه الخراب إلا قليلاً، إذا ما استثنينا ما تحدث به المؤرخون وتركيزهم على الجانب الشرقي فقط، كما نلاحظ في الصور إدناه، الأولى توضح المواقع المهمة لبنايات بغداد الرئيسية في الجانب الشرقي منها، والثاني توضح بعد نهر عيسى الذي يتفرع منه نهر الفرات عنْ موقع تلكَ البنايات، فلماذا يقبل الجنود على رمي تلكَ الكتب في الفرات إذا ما صح التعبير بنهر عيسى دون نهر دجلة وكم منْ الوقت يحتاجون لنقلها، وهذا يبطل ما رواه النهروالي. (ابن جبير، د.ت، ص205)، (النويري، 1423هـ،

DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781

ص267)، (سوسه، 1963م، ص229-234)، (آل ياسين، 1399هـ/1979م، ص98).

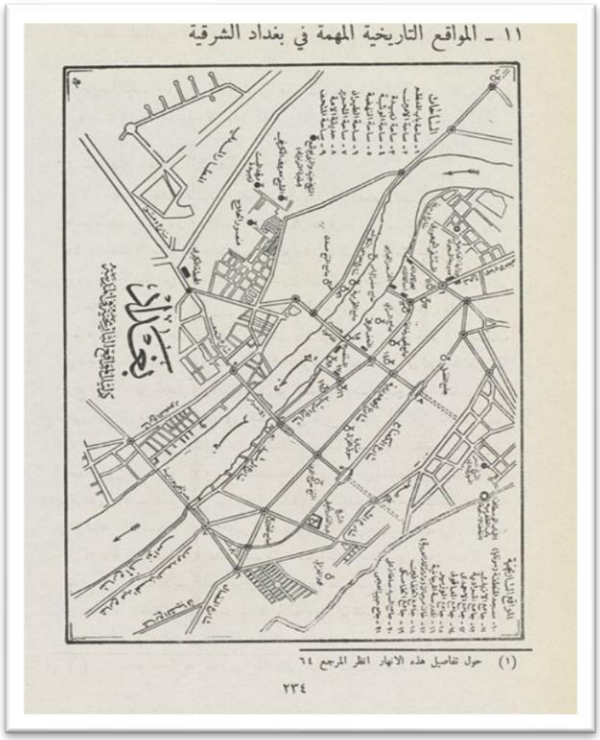

(سوسه, 1963م، ص229-234)

والحال ينطبق على قضية الحرق، جميعنا نعلم أن المغول عندما قدموا إلى بغداد جلبوا معهم من الخطائين المهرة في إطلاق قذائف المجانيق وقاذفات النفط والسهام التي كان تصل إلى حوالي 2500 قدم، وكانوا دائماً يستعملونها في حروبهم وتسير على عجلات، في الوقت الذي اشار فيه ريتشارد كوك بانها قد نصبت على أسطح المنازل القريبة من السور واخذت تضرب بغداد منْ كل الاتجاهات، لذا; كان منْ الطبيعي أن يصيب تلكَ المكتبات ما أصاب باقي أجزاء المدينة من خراب وحرق. (كوك، 2014م، ص225)، (الهادي، 1443هـ/2021م، ص114).

كذلكَ السياسة التي كان يتبعها جنكيز خان وحفيده هولاكو في الغزو، تبدأ بإرسال الرسائل إلى المناطق التي يريدون ضمها إلى مملكتهم، إذا استجابت كان بها، وإذا لم تستجب تدمرت تحت قذائف المغول وسهامهم، ومثال على ذلكَ الرسائل التي أرسلها هولاكو إلى الخليفة قبل الغزو، إلا أنه أبى وتكبر وهي ضمن الخطة التي رسمها جنكيز خان لحفيده هولاكو أثناء مسيره لاحتلال المشرق الإسلامي، أن استسلم نجا وأن لم يستسلم يقضى عليه، كذلك رسائل هولاكو إلى الناصر عندما توجه إلى مملكته أنه وحسب وما اشار ابن العماد الحنبلي، فيقول:(**لما فرغ هولاكو منْ بغداد أرسل كتاباً إلى سلطان مصر الملك ناصر، اما بعد فأنا فتحنا بغداد واستأصلنا ملكها وملكها وكان ظنّ- وقد- ضنّ بالأموال، ولم ينافسّ الرجال، أن ملكه يبقى على ذلكَ الحال وقد على ذكره ونما قدره، فخسف في الكمال بدره)** هذا من جانب، ومن جانب أخر أن جنكيز خان وما اخذه منه هولاكو أنه بعد استيلائه على المدينة يحرص على الاستفادة من عقول كبار المفكرين فيها ومثال ذلكَ المفكر الصيني(تي لو تسو تساى) الذي أسره المغول منْ بكين سنة(612هـ/1215م)، وظل سجيناً لديهم حتى وقف جنكيز خان على كفايته وقدرته فأتخذه وزيراً، كذلك هولاكو عندما فتح قلاع الإسماعيلية استحسن واجتذب عالم الفلك فيها وهو الخواجة نصير الدين الطوسي وابتنى له مرصد في مراغة، وهذا ينطبق على ابن العلقمي وزير الخليفة، وليس العلماء والمفكرون فقط، بل حتى المهرة في الهندسة والعمران وأكبر دليل على ذلكَ من

DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781

جلبهم معه لإعداد الجسور منْ المهندسين الصينيين، فضلا عنْ المهرة من ضاربي المنجنيق وغيرهم . الهمذاني، 1960م، ص237)، (ابن العماد الحنبلي، 1406هـ/1986م، ص471)، (حمدى، 1987م، 133-134)، (الهادي، 1443هـ/2021م، ص114-115).

أما بالنسبة للظروف التي دفعت المغول للقيام بهذهِ الفتوحات والغزوات كونهم نشأوا في هضبة منغوليا شمال صحراء جوبي، وقد عرف عنها تاريخياً بأنها منطقة واسعة تنعدم فيها المياه في بعض جهاتها، فضلاً عن كونها حاجزاً منيعاً بين المناطق الحارة والباردة، هذهِ الظروف الجغرافية وغيرها جعلت منه إقليماً فقيراً، إذ انعدمت فيه الزراعة في أكثر جهاتها مما جعلهم يعيشون عيشة رعوية تقوم على التنقل سعياً وراء الرزق والماء، فنراهم يعيشون عيشة تتوق إلى التحضر والاستقرار التي وجدوها في المناطق المتاخمة لبلادهم جنوباً فاخذوا يغيرون عليها وينهبونها حتى أصبحوا شيئاً فشيئاً يسعون إلى السيطرة وتوسيع ممتلكاتهم تأثراً بتلكَ الحضارات، وساعد جنكيز خان على ذلكَ ما أمتاز به من ذكاء ودهاء، فضلاً عنْ ما أخذوه من الأنظمة الحربية الصينية، لذا؛ كانت قضية غزو بغداد والاستيلاء عليها هي جزء من خطة عقدها جنكيز خان قديماً ولم تنفذ على الرغم من المحاولات المستمرة، وليس لهدم الإسلام وحضارته كما يدعي البعض، على العكس منْ ذلكَ، أن المغول الإيلخانيون تأثروا كثيراً بالحضارة الإسلامية بصورة كاملة حتى سقوط دولتهم في سنة 736هـ/1336م. (حمدى، 1987م، ص126-129).

أما التي تحدث بها المهايني وحسن إبراهيم حسن فما هي إلا تأثراً بما ورد في المصادر من الأخبار ولا سيما وأن الباحثين يذكران: أن الجوامع والضرائح قد تقوضت أما بالنار أو المعاول من أجل قبابها الذهبية ونهبها نكتفي بما علقَ عليه المحقق التأريخي يوسف الهادي و(فيما نعلم أنه لم تكن في بغداد قبابًا ذهبية في ذلكَ العصر). (الهادي،1443هـ/2021م، ص82).

بالنسبة لمدارس بغداد إذا ما استثنينا الخراب الذي أصابها أثناء الفيضانات، واستثنينا الحرق والتدمير الذي أصابها أثناء عمليات الغزو، على ما يبدو انه لم يمسها ضرراً كبيراً، وهو ما ذكره ابن الفوطي من أن عماد الدين القزويني أصلح ما أصاب المدينة من ضرر وعمر المساجد والمدارس، يمكن القول إنها تعطلت لمدة سنة أو سنتين حتى تم الاعمار، وهو لا ينطبق على المدارس فقط، بل على الحياة العامة في بغداد. حتى أن ناجي معروف اشار وهو يتحدث عن مكتبة الاسكندرية والأعداد الهائلة من المؤلفات التي نقلها إليها المستنصر بالله العباسي إلى زيارة هولاكو للمدرسة المستنصرية واستقبله من قبل علمائها. وأكد على ذلكَ ابن الفوطي فيذكر: **" فكان أهل الحلة والكوفة والسيب يجلبون الطعام إلى بغداد، وكان الناس يبتاعون بأثمانها الكتب النفيسة"** وهذا يدل على بقاء الكتب هذا منْ جانب، ومن جانب آخر أنها لم تسرق وقت الغزو خارج العراق، بل أخذت إلى المناطق الأخرى. ويشير إلى ذلكَ القلقشندي فيقول:**" وأوقافها جارية في مجاريها، لم تعترضها أيدي العدوان في دولة هولاكو ولا فيما بعده").** كل هذا يقود إلى الشك والحذر من اعتبار خبر إتلاف المغول للكتب في واقعة بغداد سنة 656هـ أمراً مسلماً به، أن المصادر الأولية تؤكد، غير أن هذا لا يمنع أن يكون قد نتج عنْ الغزو إتلاف بعضها وهو أمر لا يستبعد حدوثه في الغزوات والحروب الأخرى. (ابن الفوطي، 1424هـ/2003م، ص237)، (القلقشندي، 1987م، ص331-332)، (معروف، 1379هـ/1959م، ص11)، (آل ياسين، 1399هـ/1979م، ص107، 111).

لكن بالمقابل هناك مصادر أصلية معاصرة وقريبة للحادثة سكتتْ عنْ ذكرها ويمكن أن نستعرضها وفق الاتي:

منْ بين المؤرخين المعاصرين لسقوط بغداد هو المؤرخ عبد الرزاق بن تاج الدين أحمد بن محمد المعروف بابن الفوطي الحنبلي البغدادي الذي عاش خلال المدة (642- 723هـ/ 1244-1323م)، و وقع أسيراً بيد المغول عندما كان في سن الرابعة عشرة من

DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781

عمره، وبقي في الأسر حتى سنة 659هـ عندما هرب منهم وتوجه إلى نصير الدين الطوسي وباشر بالرصد معه، إذ جعله خازناً لها، بقي ابن الفوطي في مراغة حتى عودته إلى بغداد في سنة 679هـ بدعوة من علاء الدين عطا ملك الجويني عندما كانت بغداد تحت حكم آباقا بن هولاكو وولاية الجويني، ويشير ابن الفوطي أنه لدى عودته إلى بغداد رأى أنها قد عادت إلى حالة الازدهار والطمأنينة وجرت فيها أمور مدارسها، ومساجدها، ومشاهدها، وربطها، وزواياها على أحسن حال حتى قال: أنها كانت في حال خير من حالها في عهد الخليفة المستعصم بالله، وأصبح مشرفاً على دار كتب المدرسة المستنصرية وخزانة كتبها، وكانت خزانة حافلة بألوف المجلدات من الكتب على اختلاف أنواعها، وقد اعترف ابن الفوطي بأن كتب المستنصرية لا يوجد مثلها في العالم مع علمه بخزانة كتب الرصد بمراغة التي جمع فيها الطوسي حوالي أربعمائة ألف مجلد، فشهد بأنها كانت آجل وأنفس من خزانة كتب الرصد على وقارة كتبها، وبقي فيها حتى وفاته في سنة 723هـ/ 1323م ودفن في بغداد، وبذلكَ يكون قد شهد زمن هولاكو و زمن ملوكهم الأخرين، من عهد آباقا خان بن هولاكو حتى أيام السلطان الإيلخاني أبي سعيد بهادور. (ابن الفوطي، 1416هـ/1995م، ص13-38).

يدين ابن الفوطي المغول واعمالهم من قتل وتنكيل بالخليفة وأهالي بغداد، وتخريب أحياء المدينة في معرض كتابه الحوادث الجامعة ومقدمة حياته في مجمع الآداب لدى وقوفنا عليها للاطلاع على سيرته العلمية والعملية منذ ولادته وحتى وفاته، فأبن الفوطي الذي كان اسيراً لدى المغول وشاهداً عياناً على الفظائع التي ارتكبوها قبل رحيله إلى مراغة لم يشير في مؤلفيه إلى حادثة إتلاف أو غرق أو حرق لكتب ومكتبات بغداد، ومن المستحيل أن يكون ابن الفوطي قد جامل أو تخوف من السلطة المغولية، فلو كان كذلكَ فلما ذكر بقية الحوادث، ولما وصلنا مؤلفيه اليوم حتى ولو شذبا مما بهما من نصوص لكنهما بقي على ما دونْ بهما من استباحة وقتل ونهب وسلب، اشار إليها في حوادث سنة 656هـ . (ابن الفوطي، 1424هـ/2003م، ص231-251).

ومنهم شيخ الإسلام وقاضي القضاة أبي عمر منهاج الدين عثمان المعروف بالقاضي منهاج السراج الجوزجاني في كتابه طبقات ناصري عاش خلال المدة(1193 1260م)، كان قد دونْ كتابه اعلاه في دهلي(دلهي) بالهند في السنة نفسها التي توفي فيها 658هـ/1260م، ذكر في مؤلفه طبقات ناصري بجزئيه أحداث الغزو المغولي لبغداد بكل تفاصيلها سواء في الجزء الأول الذي تطرق فيه ضمن الطبقة الرابعة التي ذكر فيها الخلفاء العباسيين، وكان ما ذكره فيه هو تفاصيل حادثة دخول المغول لبغداد وقتلهم للخليفة المستعصم خلال الصفحات 245-246، أما في الجزء الثاني ضمن الطبقة الثالثة والعشرون ضمن وقائع الإسلام وخروج الكفار ذكر خلال الصفحات 204-215 تفاصيل واقعة بغداد من قتل وسلب ونهب، ووضح المسار الذي سار فيه جيش المغول أثناء دخولهم إلى بغداد حتى قتل خليفتها المستعصم بالله.

ينفرد الجوزجاني في زاوية من زوايا كتابه بنص واضح وصريح، فيقول:(**واستولوا على جمله خزائن بغداد التي لا يتسع لها سجل ولا يحيط بها خيال البشر من نقود وجواهر وأوانٍ ومرصعات**). (الجوزجاني، 2013م، ص212-213).

وحسب ما ورد في هذا النص أن جملة ما سلبه المغول من خزائن بغداد غنائم مادية لا تمت لحادثة الكتب بأي صلة، هذا منْ جانب، ومن جانب أخر أن الجوزجاني يروي عن البعض بقوله: (يروي البعض)، فهو بذلكَ ليس شاهداً عياناً للأحداث، غير أنه دونْ الأحداث في السنة نفسها في الهند، فكما نعلم إن الأخبار كانت تصل للهند أما عن طريق الذين هاجروا إلى الهند في تلكَ المرحلة الصعيبة هرباً من بطش المغول لهم، أو الرحالة أو التجار، وعلى الرغم من بعد المسافة والأخبار لكن ليس من الصعب الحصول عليها من هؤلاء المخبرين.

DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781

والخواجة محمد بن محمد الحسن الطوسي المعروف بنصير الدين الطوسي نسبة إلى طوس*12 المدينة التي ولد فيها في سنة 597هـ/1201م، ويعد أشهر علماء القرن السابع الهجري، وأشهر مؤلفيه.

استطرد نصير الدين في ذكره لحوادث بغداد في رسالته التي اشار إليها محمد مفيد في مؤلفه الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري معلقاً فيه أن من أهم المؤرخين الذين رافقوا هؤلاء عند هجومه على بغداد هو نصير الطوسي، الذي اشار في رسالته(رسالة استيلاء المغول على بغداد) إلى الاعمال الوحشية التي أرتكبها المغول بحق بغداد وسكانها من قتل ونهب للمدينة، إلا أنه لم يتطرق إلى مسألة الكتب والمكتبات، ولم يتوفر بينَ أيدينا سوى النص الذي أورده عباس علوان الصالح من نص ورد عن البحاثة الخواجة نصير الدين محمد الطوسي. (آل ياسين، 1399هـ/1979م، ص101-102)، (الأمين، 1997م، ص9-10)، (الصالح، د.ت، ص1-4).

كذلك الحال بالنسبة للعلامة غريغوريوس أبي الفرج بن اهرون الطبيب الملطى (623-685هـ/1226-1286م)، الذي كان معاصراً لزمان وقوع الحادثة وتوفي في مراغة عاصمة الإيلخانيون وهو بذلكَ وأن بعُد عن أخبار بغداد مباشرةً، لكنه لم يمنعه من الحصول عليها، فوقف على ذكر أحداث الاستيلاء على بغداد ومقتل الخليفة المستعصم بالله، لكنه لم يذكر أي شيء عن حادثة الكتب والمكتبات. ابن العبري (1403هـ/1983م، ص269-272)، (2007م، ص135-139).

أيضاً قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد بن أبي الحسين أحمد اليونيني البعلبكي، دمشقي المولد والوفاة عاش خلال المدة(1242-1326م)، لم يكن بعيداً عن أحداث الغزو المغولي، وقد ذكر في حوادث سنة 656هـ/1258م سيطرة المغول على العراق وبغداد بكل تفاصيلها تقريباً من تخريب وسبي ونهب الأموال ومقتل المستعصم بالله، إلا أنه لم يتطرق لأي شيء متعلق بحادثة تدمير او ضياع الكتب. (اليونيني، 1413هـ/1992م، ص85-90)، (الزركلي، 2002م، ص328).

منْ بينَ المؤرخين المعاصرين لسقوط بغداد، ويعد تدوينهم لتلكَ المرحلة تدويناً مهماً، هو المؤرخ الكبير رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة المعروف بالهمذاني نسبةً إلى مدينة همدان التي ولد فيها، عاش خلال المدة (645-718هـ/ 1247-1258م)، وهو يعد مؤرخ المغول، والأكثر قرباً من البلاط الإيلخاني، إذ كان وزيراً لثلاث من خانات*13 المغول، ولم يذكر أي شيء عن الحادثة، في حين وقف على ذكر كل تفاصيل واقعة بغداد بدأً من مراسلة الخليفة وحتى عمليات القتل والسلب والنهب الذي عمَ المدينة، أورد تفاصيلها جميعاً. (الهمذاني، 1960م، ص5-60، 268-297).

من المصادر الأصلية القريبة جداً من الحدث هو صفي الدين عبد المؤمن المعروف بابن عبد الحق، عاش خلال المدة (658-719هـ/ 1260-1338م)، بغدادي المولد والوفاة، وهو يعد من كبار علماء عصره. أن كل ما نقله عند حديثه عنْ بغداد" **كانت أم الدنيا وسيدة البلاد، .... وبني السور على ما بقي منه على جانب دجلة حتى جاء التتر إليها فخرب أكثرها، وقتل أهلها كلهم، فلم يبقى منهم غير آحاد كانوا أنموذجاً حسناً، وهي الآن غير التي كانت، وأهلها غير من عهدناهم، والحكم لله تعالى**". ولم يتطرق لحادثة إتلاف أو حرق الكتب والمكتبات لا من قريب ولا من بعيد. (ابن عبد الحق، 1412هـ، ص209)، (الزركلي، 2002م، ص170).

والحال نفسه ينطبق على بقية مؤرخي وعلماء ذلكَ الزمان الذين أرخوا ودونوا أحداث الغزو المغولي، إلا أنهم سكتوا عن قضية إتلاف وضياع الكتب والمكتبات، وليس هذا بخوف منْ السلطة المغولية وإلا كيف استطاعوا تدوينْ تفاصيل الغزو جميعها ماعدا حادثة إتلاف الكتب، كما أن البعض منهم كانوا قد دونوا مؤلفاتهم بعد سقوط بغداد بمدة زمنية طويلة، بل أن بعضهم الأخر قد دونوا بعد سقوط دولة المغول الإيلخانية في مكان غير خاضع للضغط السياسي، إذ لم يتم ذكر تلكَ الحادثة في

DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781

مؤلفاته ومنهم: محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا الذي عاش خلال المدة (660-709هـ/ 1262-1309م)، ودونْ بشكل مختصر تفاصيل واقعة بغداد أثناء حديثه عنْ خلافة المستعصم بالله. ابن الطقطقا، د.ت، ص334-336).

ابن تيمية في مؤلفه مجمع الفتاوي لم يذكر شيء عنها سوى ما أخذه نصير الدين الطوسي من كتب الاوقاف والممالك إلى مرصده في مراغة في سنة 662هـ عندما قدم إلى بغداد وبقية اصقاع العالم ليملئ مرصده بهذهِ المؤلفات، وهذا يدل على بقاء الكتب والمكتبات وليس إتلافها أو ضياعها في سنة 656هـ/1258م. (ابن تيمية، 1425هـ/2004م، ص207).

أبي الفداء في كتابه المختصر في أخبار البشر الذي آدان فيه التتار وأعمالهم من قتل وسلب وتخريب عند ذكره سنة 656هـ (استيلاء التتر على بغداد)، حتى أنه آدان ما كان عليه المستعصم فقال عنه: (كان ضعيف الرأي، قد غلب عليه أمراء دولته لسوء تدبيره). ولم يشير لا من قريب ولا من بعيد للكتب في السنة المذكورة اعلاه. (أبي الفداء، د.ت، ص195).

وهذا ينطبق على شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي الذي عاش خلال المدة (1274-1348م)، في مؤلفيه العبر. وتأريخ الإسلام. الذهبي، (د.ت، ص277-278)، (1413هـ/1993م، ص33-39).

وشهاب الدين النويري الذي عاش خلال المدة(677-733هـ/1278-1333م) في كتابه نهاية الأرب في فنون الأدب. (النويري، 1423هـ، ص323-325).

ذكرا تفاصيل الغزو سنة 656هـ من مقتل الخليفة وانقراض الدولة العباسية، واستيلاء هولاكو على بغداد دون أن ترد أي اشارة لمكتبة أو كتاب.

أيضاً محمد بن شاكر الكتبي الدمشقي الذي عاش خلال المدة (686-764هـ/ 1287-1363م)، اشار أثناء حديثه عن نصير دين الطوسي إلى الكتب فقال:(وابتنى قبة رصداً عظيماً واتخذ في ذلك خزانة عظيمة، فسيحة الارجاء وملأها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة حتى تجمع فيها زيادة على أربعمائة مجلد). وهذا دليل على عدم إتلاف كتب بغداد عمداً. (ابن شاكر الكتبي، 1974م، ص246-247).

والحال ينطبق على ما رواه صلاح الدين أبو الصفاء خليل بن أيبك الصفدي الدمشقي الذي عاش خلال المدة(696-764هـ/1296-1363م)، عند حديثه عن ابن العلقمي ونصير الدين الطوسي، إذ ادان ابن العلقمي، ونقل ما رواه ابن شاكر الكتبي عن الطوسي. (الصفدي، 1420هـ/2000م، ص147-151).

وعماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الذي عاش خلال المدة(701-774هـ/1301-1373م)، كان قد دونْ مؤلفه في مكان بعيد عن الضغط السياسي للدولة، وذكر وقائع بغداد بكل تفاصيلها من قتل ونهب، فيقول: **"بعد أن انتهى من الغزو عاد إلى بغداد وفي صحبته الخواجة نصير الدين الطوسي والوزير ابن العلقمي وغيرهما والخليفة كانت تحت الحواطة والمصادرة، فأحضر من دار الخلافة شيئاً كثيراً منْ الذهب والحلي والمصاغ، والاشياء النفيسة والجواهر"**. لكنه لم يتطرق إلى ذكر ما آل إليه مصير الكتب والمكتبات فيها باستثناء ما نقله في الصفحات اللاحقة حول قدوم نصير دين الطوسي واخذه كتباً لا يحصى عددها من مدارس بغداد ليلحقها بمرصده الذي ابتناه في مراغة بعد مدة من الغزو. (ابن كثير، 1418هـ/1997م، ص454).

وتقي الدين أحمد بن علي المقريزي الذي عاش خلال المدة(1364-1442م)، ذكر في مؤلفه السلوك مختصر لما جرى في سنة 656هـ من تخريب وتدمير وسفك دماء في المدينة، إلا أنه الا أنه اعرض عن ذكر كتب بغداد ومكتباتها. (المقريزي، 1418هـ/1997م، ص499).

وأخيراً عبد الحي بن أحمد بن محمد المعروف بابن العماد الحنبلي الذي عاش خلال المدة (1032-1108هـ/ 1623-1679م) لدى وقوفه على تفاصيل سنة 656هـ لم نجد أي اشارة إلى ما

DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781

حصل لبغداد وكتبها سوى النص الذي ورد في مؤلفه عن مصير الخليفة فيقول:(لما فرغ هولاكو منْ بغداد أرسل كتاباً إلى سلطان مصر الملك ناصر، اما بعد فأنا فتحنا بغداد واستأصلنا ملكها وملكها وكان ظنّ-وقد-ضنّ بالأموال، ولم ينافسّ الرجال، أن ملكه يبقى على ذلكَ الحال وقد على ذكره ونما قدره، فخسف في الكمال بدره). (ابن العماد الحنبلي، 1406هـ/1986م، ص471).

المبحث الثاني: أهم مكتبات بغداد الموجودة في العصر العباسي الأخير 622-656هـ/ 1225-1258م (مصيرها، وتأثير الغزو المغولي عليها)

المكتبات هي مؤسسات ثقافية ومعرفية، وثروة فكرية، أوجدها الإنسان وسخرها لخدمته منْ خلال جمع الكتب والمصنفات باختلاف أنواعها وتنظيمها وترتيبها وفق نظام معين وتحت إشراف فرد أو مجموعة من الأفراد أطلق عليهم في العصر العباسي الأخير الخازن وجمعها الخزنة أو خزان، استعداداً لنقلها للأجيال المتعاقبة. (عليان، 1420هـ/1999م، ص113، 164)، (الراوي، 2023م، ص90).

والمكتبات الإسلامية هي بحق تعد نتاج طبيعي للحضارة العربية الإسلامية وانعكاس لها ساهمت بشكل أو بآخر في توسيع نطاق هذهِ الحضارة والحفاظ عليها ونقلها إلى الأجيال الأخرى، وعندما تنوعت اهتمامات العرب المسلمين العلمية والمعرفية واتسعت آفاقهم العقلية والفكرية وازدهرت حضارتهم زاد عدد المكتبات وتنوعت أغراضها، فظهرت المكتبات العامة على اختلاف أنواعها، والمكتبات الخاصة التي يمتلكها الأفراد، وهناك أيضاً المكتبات التي ينشئها الخلفاء والأمراء وتلكَ التابعة للمدارس والمساجد وغيرها من الخزائن التي ألحقت بالزوايا والرباطات التي استخدمت مؤخراً للتدريس والتأليف والنسخ. (عليان، 1420هـ/1999م، ص114).

فكان ذلكَ ينطبق على بغداد مركز الخلافة العباسية، ففي العصر العباسي الأخير كانت بغداد تزخر بالمؤسسات التعليمية منْ مساجد وجوامع التي كانت تقوم بوظيفتها كمؤسسات علمية تختص بالدراسات الدينية وما يتصل بها من العلوم العربية إلى جانب وظيفتها الأساسية كمراكز للعبادة والدين، فضلاً عنْ مدارسها العلمية التي ألحقت بها خزائن للكتب والتي فاق عددها الثلاثون مدرسة حسب ما أوردها ابن جبير(540-614هـ/1145-1217م) في رحلته عندما قدم إلى بغداد في سنة 581هـ/1185م فيذكر في معرض حديثه عنْ المدارس والمساجد أن بغداد بها نحو الثلاثين مدرسة وهي جميعها تقع في الجانب الشرقي للمدينة وأشهرها النظامية، واستمر عددها بالارتفاع حتى وصل خمسة وثلاثون مدرسة منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وبلغ عددها ثمانية وثلاثون مدرسة عند سقوط بغداد بيد المغول. فضلاً عنْ الرباطات التي أسهمت خزائنها المملوءة بالكتب في نمو وتطور حركة التعليم والثقافة وذلكَ عنْ طريق توفير الكتب لمرتاديها منْ الباحثين وطلبة العلم، إضافة إلى خزائن المكتبات العامة والخاصة بالخلفاء ورجال الدولة الآخرين، وغيرها من المكتبات والخزائن الأخرى. (ابن جبير، د.ت، ص205)، (الربيعي، 2006م، ص288)، (درويش، عبد علي، 2013م، ص484-489).

ومنْ أهم العوامل التي ساعدت على ازدهار حركة إنشاء المكتبات وتطورها هو ازدهار حركة التأليف والترجمة، فقد أولى الخلفاء العباسيين اهتماماً كبيراً في هذا الجانب ولاسيما الترجمة، إذ كانت الترجمة تتمْ عنْ عدد منْ اللغات منها: اليونانية، الفارسية، الهندية، القبطية، والسريانية إلى اللغة العربية، وسار التأليف جنباً إلى جنب مع حركة الترجمة حتى زخرت الحضارة الإسلامية بالعلماء والمفكرين الذين ألفوا في مختلف العلوم الدينية، الفقهية، التأريخية، اللغوية، والأدبية وغيرها من العلوم الأخرى. كذلك ساعد انتشار صناعة الورق (أو ما يطلق عليه بالكاغد الصيني) كثيراً في إنشاء المكتبات ونموها وتطورها والتي انتقلت إلى العرب المسلمين وتحديداً في بغداد منْ الصين في حدود نهاية القرن الثامن الميلادي*14*، فكان لها دوراً هاماً في نشر الحضارة

DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781

والتراث. (عليان، 1420هـ/1999م، ص56-60، 98-100)، (قوادري، طاطا، 1438هـ/ 2017م، ص10).

ثم أعقبها ظهور حركة مهنة الوراقين وانتشارها، إذ انتشرت كثيراً بعد دخول الورق إلى البلاد الإسلامية، إذ ظهرت طائفة منْ الناس الذين أخذوا يعملون بالورق والكتابة والكتب وهؤلاء هم ما أطلق عليهم **بالوراقون** الذين كان لهم دور كبير في نشر الثقافة العربية الإسلامية ذلكَ لأن عملهم كان يقوم مقام دور النشر للكتب، إذ كانوا يقومون بنسخ الكتب وتصحيحها وتجليدها وعرضها وبيعها في أسواق الكتب في الحوانيت الخاصة بهم. أما العامل الأخير فهو تشجيع الخلفاء العباسيين والحكام المسلمين للعلم والعلماء، فكان لذلكَ دوره في تركيز هؤلاء جهودهم على التأليف والترجمة، فضلاً عن اهتمام الخلفاء بخزانات الكتب وتزويدها بالألوف المؤلفة من الكتب النفسية والنادرة. (عليان، 1420هـ/1999م، ص71)، (درويش، عبد علي، 2013م، ص486)، (قوادري، طاطا، 1438/ 2017م، ص10).

سنتطرق في بحثنا هذا إلى أشهر وأهم المكتبات التي كانت موجودة في العصر العباسي الأخير، وحصراً خلال المدة (622-656هـ/ 1225-1258م)، ونبدأ بالمكتبات الخاصة قبل العامة وذلكَ لكثرة الاشخاص الذين كانوا يملكونها، فضلاً عن مكانتهم التي كانوا يتمتعون بها من خلفاء ووزراء، وعلماء وأدباء، وغيرهم وهي كما يأتي:

أ-خزائن الخلفاء:

1-خزانة بيت أو دار الحكمة: تأسست في حياة الخليفة العباسي هارون الرشيد(170-193هـ/786-809م)، وهي تعد منْ أعظم خزائن الكتب في بغداد لأنها حوت على الكثير منْ العلوم والمعارف الشرقية والغربية بلغاتها المختلفة العربية، الفارسية، السريانية، اليونانية، القبطية، الآرامية، والهندية وغيرها، وقد نقلتْ تلكَ المؤلفات والتصانيف من لغاتها الأصلية إلى اللغة العربية بواسطة التعريب والنقل. وبدعم من الخلفاء العباسيين ازدهرت هذهِ الدار كثيراً خلال العصر العباسي ولا سيما في عهد الخليفة المأمون العباسي(198-218هـ/813-833م) الذي عرف عنه بثقافته الواسعة ومحبته للعلم وأصحابه وبميله الشديد إلى الفلسفة وكثرة اهتمامه بعلوم الحكمة وترجمتها من لغاتها الأصلية إلى اللغة العربية، لذا; سعى إلى توسعتها واغنائها بكميات كبيرة من الكتب والمخطوطات المختلفة، فصارت تحتوي على عدة اقسام ولكلٌ منها خازن يشرف عليها. ولعل الخزانة التي وصفها القلقشندي في كتابه بقوله:(بأنها كانت من أعظم خزائن الكتب في الإسلام، وفيها ما لا يحصى من الكتب ولا يقوم عليه نفاسة)، لعله كان يقصدها. (القلقشندي، 1987م، ص537)، (عواد، 1406هـ/1986م، ص105-110)، (عليان، 1420هـ/1999م، ص148)، (الراوي، 2023م، ص29، 59)، (محي الدين، 1981م، ص85).

يعقب كوركيس عواد في ختام حديثه عن بيت الحكمة فيقول: أن نور هذهِ الخزانة كان قد سطع أيام المأمون العباسي، ثم خبا (بمعنى انطفأ) ذلكَ النور من بعدها حتى أصبحنا نستصعب الحصول على أخبارها في بطون الكتب، ويرى أن السبب في ذلكَ يعود إلى انتقال مركز الخلافة من بغداد إلى سامراء، ثم تعاقب الفتن على بغداد وما حل بها من بلايا بالسنوات اللاحقة، فكل تلكَ الأمور قد تظافرت على الحط منْ مكانة هذهِ الخزانة وإيصالها إلى حال أفقدها فيه مجدها وصارت كتبها إلى ضياع أو إتلاف. (عواد، 1406هـ/1986م، ص112).

لم يعلق كوركيس عواد على السبب المباشر لضياع أو إتلاف تلكَ الكتب لاسيما في عهد الغزو المغولي لبغداد، بل اكتفى بقوله تعاقب البلايا والفتن على بغداد كانت السبب في ضياع مجدها ومكانتها العلمية.

2- خزانة الناصر لدين الله: وهي من أشهر الخزائن التي شيدها الخليفة الناصر لدين الله بن الخليفة المستضئ بالله العباسي(575-622هـ/1180-1225م)، كان قد شيدها على الضفة اليسرى لنهر دجلة، وحوت هذهِ المكتبة على العديد من كتب العلم والمعرفة، ولضخامتها نقلتْ منها العديد من الاسفار

DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781

والتصانيف التي كانت موجودة فيها إلى كل من خزانة دار المسناة التي بناها هي الأخرى في بغداد، وخزانة الرباط الخاتوني ببغداد، وخزانة المدرسة النظامية التي نقلْ إليها ألوفاً من الكتب النفيسة، واعتمد عندما قرر نقلْ هذهِ الكتب إلى الخزائن المذكورة اعلاه على أحد العلماء الذي كان مطلعاً في العلوم والمعارف وهو مبشر بن أحمد بن علي بن أحمد بن عمر الملقب بالبرهان، رازي الأصل بغدادي المولد والنشأة (589هـ/1194م). (عواد، 1406هـ/1986م، ص119-120)، (الراوي، 2023م، ص31)، (محي الدين، 1981م، ص93).

وليس بين أيدينا أية اشارات إلى ما آل إليه مصير هذهِ الخزانة أيام حادثة سقوط بغداد سنة 656هـ/1258م.

3-خزانة دار المسناة ببغداد: وهي الأخرى شيدها الخليفة الناصر لدين الله حديث عهده، ويقال أن هذهِ الخزانة هي نفسها البناء العباسي العتيق الذي ينطبق على موضع الإيوان الذي بالقلعة ويقع على الضفة اليسرى لنهر دجلة، وعد هذا الإيوان أثرٌ باقٍ من دار المسناة، وكما اسلفنا أن الخليفة قد نقلْ إليها الكثير من الكتب النفيسة منْ خزانته بدار الخلافة عندما كلف مشير بن أحمد البرهان باختيار ما يشاء منْ المصنفات ونقلها إليها. (عواد، 1406هـ/1986م، ص119-120)، (الكرملي، عواد، د.ت، ص566).

ولم ترد بين أيدينا أيضاً أي اشارات إلى ما آل إليه مصيرها في وقت الغزو المغولي.

4-خزانة المستنصر بالله: شيدها الخليفة المستنصر بالله العباسي(623-640هـ/1226-1242م)، وقد احتوت هذهِ الخزانة على العديد من الكتب النفيسة من العلوم الدينية والأدبية وغيرها من العلوم الأخرى، وذكر أنه لضخامتها نقلْ منها الخليفة إلى المدرسة المستنصرية حوالي ثمانون ألف مجلداً من الكتب النادرة، ويذكر أن منْ جملة ما نقلْ منها هو كتاب اليآسة الذي كان يحتوي على القوانين والقواعد التي أقرها جنكيز خان وجعلها شريعة لقومه. (عواد، 1406هـ/1986م، ص121-122)، (الراوي، 2023م، ص31-32)، (محي الدين، 1981م، ص93-94).

وأيضاً لا توجد اشارات خاصة بمصير هذهِ المكتبة اثناء عمليات الغزو المغولي لبغداد.

5-مكتبة المستعصم بالله: وهي التي بناها الخليفة المستعصم بالله العباسي(640-656هـ/1242-1258م)، بنيت متصلة بدار الخلافة التي كان يسكنها الخليفة ونقلْ إليها الكثير من الكتب النفيسة والنادرة. (عواد، 1406هـ/1986م، ص122)، (الراوي، 2023م، ص34-35).

ذكرنا أن المغول استولوا على دار الخلافة ونهبوا ممتلكاتها، وتعرضت للتدمير بفعل عمليات الغزو حتى تهدمت شرفاتها وسويت بالأرض، لكن لا يوجد أي ذكر لتعرض هذهِ الخزانة لأي أذى سوى الاشارات العامة التي وصلتنا عن المؤلف المنسوب لابن الساعي، وابن خلدون، والقلقشندي، وابن تغرى بردي، والنهروالي وقد بينا حقيقة ما ورد فيها في المبحث الأول من بحثنا هذا.

ب-خزائن الوزراء

- خزانة ابن العلقمي: وهي التي شيدها الوزير مؤيد الدين أبو طالب محمد بن أحمد بن العلقمي في داره أيام الخليفة المستعصم بالله العباسي، فتحت حسب ما أشار إليها ابن الفوطي في سنة 644هـ/1246م ووضع فيها من الكتب النفيسة والنافعة شيء كثير، حتى اشتملت هذهِ المكتبة على عشرة الاف مجلد من تلكَ النوادر. (ابن الفوطي، 1424هـ/2003م، ص168). (عواد، 1406هـ/1986م، ص185-186)، (الراوي، 2023م، ص38).

اجتمعت الكثير من المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في بحثنا هذا على أن ابن العلقمي ومن بقي في داره قد نجا من القتل في أثناء الغزو، لذا؛ من الطبيعي أن نجاة مكتبة أو خزانة ابن العلقمي هو مرتبط إلى حدا ما بنجاة داره.

ج-خزائن العلماء

DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781

1-خزانة رضي الدين بن طاووس: شيدها رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد الطاووس المعروف بـ (السيد الأجل) (589-664هـ/1193-1265م)، احتوت خزانته هذهِ في سنة 650هـ/1252م على ألف وخمسمائة كتاب وهبها جميعها إلى أولاده الذكور. ويستنتج محمد محي الدين أن هذا العالم قد عاصر الغزو المغولي ولم يتعرض للإذى ولم يهجر مدينته ويستدل على ذلك بثلاث أمور: الأول هو استمرار مؤلفاته لما بعد الغزو، والأمر الأخر هو أن مكتبته قد بلغت ذروتها عند سقوط بغداد، والأخير أنه وهب هذهِ المكتبة لأولاده الذكور قرب وفاته، وهذا دليل على سلامة المكتبة أثناء الغزو المغولي. (عواد، 1406هـ/1986م، ص270)، (محي الدين، 1981م، ص98).

2-خزانة غياث الدين بن طاووس: تعود للفقيه النسابة المحدث النقيب المشهور غياث الدين عبد الكريم بن أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس(648-693هـ-1250-1294م) كان كثير العلم والمعرفة وداره مجمع للائمة والإشراف في المدينة، واساس هذهِ المكتبة هي الكتب التي أخذها من جده رضي الدين أي أن نواة مكتبته كانت موجودة قبل دخول المغول إلى بغداد بنحو عشرون سنة، وكان ابن الفوطي هو أحد الذين ألفوا لهذهِ المكتبة. (عواد، 1406هـ/1986م، ص270)، (محي الدين، 1981م، ص98).

أما المكتبات العامة فهي تأتي بعد المكتبات الخاصة، ويغلب عليها أن تكون ملحقة بالمدارس أو المساجد أو المشاهد والرباطات وغيرها، وهي كما يأتي:

أ_ مكتبات المدارس:

1-مكتبة المدرسة النظامية: وهي من أشهر مدارس بغداد، وأكثرها شاناً، وأقدمها عهداً، إنشاها الوزير نظام الملك الحسن بن علي السلجوقي (ت.485هـ/1092م)، عمرها خلال المدة 457-459هـ، وظلت هذهِ المدرسة عامرة زاهية بعلومها وطلابها لقرون متعددة، احتوت على جميع أنواع المصنفات والكتب والمخطوطات التي اشتملت النواحي العلمية، الطبية، الأدبية، والتأريخية. ونظمت على نسق موضوعي وتصنيف كل موضوع على حدا، ويبلغ مجموع كتبها ثمانين ألف مجلد. توقفت فيها الدراسة بعد أحداث الغزو لمدة سنة واحدة ثم عادت لممارسة نشاطها العلمي. (عواد، 1406هـ/1986م، ص147،145)، (الراوي، 2023م، ص71).

2-مكتبة المدرسة المستنصرية: التي شيدها الخليفة المستنصر بالله العباسي سنة (630هـ/1232م) في الجانب الشرقي من بغداد، وهي تعد منْ أعظم مراكز العلم فيها، نقلْ إليها المستنصر بالله العديد من الكتب النفيسة والنادرة من العلوم الدينية والأدبية حتى بلغت حوالي الثمانون ألف مجلداً، وكان من أشهر الخزنة فيها (ابن الساعي، وابن الفوطي). توقفت عن عملها أثناء الغزو ثم عادت لمزاولة نشاطها بعد سنتين. (معروف، 1379هـ/1959م، ص11)، (عواد، 1406هـ/1986م، ص163-166).

3-مكتبة المدرسة الشرابية: من مدارس بغداد الكبرى في أواخر العهد العباسي، بناها شرف الدين إقبال الشرابي قائد الفرسان في عهد الخليفة المستنصر بالله سنة 619هـ /1222م، وألحق بها مكتبة عامرة. وبقيت قائمة بعد أحداث الغزو ما يقارب المائة سنة. (الراوي، 2023م، ص76).

4-مكتبة المدرسة المجاهدية: منْ مدارس بغداد المشهورة، تقع في الجانب الشرقي لبغداد، شيدها مجاهد الدين آيبك المستنصري المعروف بالدويدار الصغير أيام الخليفة المستنصر بالله، ابتناها في سنة 637هـ، وهي مدرسة للحنابلة، استمرت هذه المدرسة بعد أحداث الغزو وبقيت أبوابها مفتوحة للدراسة. (الربيعي، 1427هـ/2006م، ص294-295).

5-مكتبة المدرسة البشيرية: شيدت هذهِ المدرسة في العصر العباسي الأخير حوالي سنة 653هـ/ 1255م أيام الخليفة المستعصم بالله في الجانب الغربي من بغداد من قبل محظية الخليفة وأم ولده المعروفة بباب بشر نسبة إلى خادم بابها المعروف باسم باب بشير، وجعلتها وقفاً على المذاهب الأربعة.

DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781

كانت تضم خزانة كتب كبيرة خصصت لطلبة العلم في مختلف العلوم (القرآن والتفسير والفقه والشريعة). (عواد، 1406هـ/1986م، ص172-173)، (الربيعي، 1427هـ/2006م، ص300). (الراوي، 2023م، ص77).

6-مكتبة المدرسة القادرية: شيد المدرسة القادرية الفقيه وقاضي قضاة بغداد أبو سعيد المبارك بن علي المخرمي (446-513هـ/ 1054-1119م)، خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وكان أحد تلامذتها المعروفين الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت.561هـ/ 1165م)، عمل على إقامة خزانة كتب للمدرسة جمع فيها مؤلفاته والكثير من الكتب والمخطوطات النادرة، انتقلت المكتبة بعد وفاته إلى أولاده، واستمرت أسرته في تزويد هذهِ المكتبة بالمصنفات وذكر إنها بقيت حتى سنة 656هـ/1258م ولم يعرف عنْ أخبارها شيئاً. (محي الدين، 1981م، ص101-102).

يشار إلى أنها قضت بوقائع الغزو، لكن ما من أخبار موثقة تؤكد ذلك.

ب-مكتبات المساجد والمشاهد:

كان للمساجد والمشاهد في بغداد دور اجتماعي كبير في القرن السابع الهجري، فهي المكان الذي يلتقي فيه الناس للعبادة والاجتماع، ويلجأ اليه المحتاجون والمسافرون وطلبة العلم، ولم تقتصر على هذا الجانب فقط، بل أصبحت معاهد للدراسة والتدريس، وكثيراً ما كان يعقد فيها حلقات للدراسة والعلم استمرت حتى نهاية القرن السابع الهجري. (الربيعي، 1427هـ/2006م، ص314-315).

1- خزانة المسجد الزيدي: تقع هذه الخزانة في الجانب الشرقي من بغداد بدرب دينار الصغير أنشاءها الشريف الزيدي أبو الحسن علي أحمد بن محمد الزيدي البغدادي المولد والنشأة(529-575هـ/ 1134- 1179م)، وقصة إنشاء هذهِ الخزانة يعود إلى أن عضد الدين محمد بن رئيس الرؤساء، وكان وزيراً للخليفة المستضيء بأمر الله عزل عن الوزارة مرة، ثم أعيد إليها فكتب إلى الخليفة المذكور يقول: اني نذرت أن عدت إلى الوزارة بعثت إلى الشريف الزيدي بألف دينار، وأزاده الخليفة ألفاً أخر وأرسلها إلى الزيدي فلم يتصرف بهما بل أشترى داراً بدرب دينار الصغير وبناها مسجداً واشترى بالباقي كتباً ووقفها في المسجد لينتفع الناس بها، وقد اجتمعت في هذه الخزانة أمهات الاسفار والكتب النادرة، أضافة إلى كتب الزيدي، وأفادت طلبة العلم منها كثيراً على مدى سنوات طويلة لكن كتبها تبعثرت فيما بعد وضاع أغلبها، دون ذكر السبب المباشر لذلك. (عواد، 1406هـ/1986م، ص154-157).

وبالتالي عاشت هذهِ المكتبة خلال قرون ثلاثة منذ السادس الهجري حتى أوائل القرن التاسع الهجري، ولم تؤثر التغيرات السياسية التي طرأت على بغداد ومنها الغزو المغولي، فلم يمسها بسوء وبقيت بعده عامرة كما كانت قبله، ولم يبتلعها نهر دجلة. (محي الدين، 1981م، ص103).

2-خزانة مسجد قمرية: تقع ضمن مسجد أو جامع قمرية (على اختلاف المصادر) في الضفة الغربية من نهر دجلة، الذي أنشأوه الخليفة الناصر لدين الله في سنة 616هـ وزوده بمكتبة عامرة، واحتوت على الكثير من كتب العلم والمعرفة، وقد استمرت الحركة العلمية فيها إلى ما بعد الغزو المغولي بعد سلامتها. (عواد، 1406هـ/1986م، ص162)، (محي الدين، 1981م، ص105-106).

3-خزانة مشهد أبي حنيفة: هي في الأصل تعود إلى مدرسة الأمام أبي حنيفة التي بناها شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور العميد الخوارزمي المستوفي في عهد المملكة السلجوقية (ت.569هـ/1173م)، فتحت المدرسة التي تقع على نحو ثلاثة أميال شمال بغداد في سنة 459هـ/ 1066م، وقد كان بهذهِ المدرسة خزانة كتب نفيسة موقوفة على طلبة العلم بلغ عددها حوالي ثلاثمائة وستون كتاباً ورسالة في شتى ألوان المعرفة، وليس هناك أي اشارات إلى تعرض هذهِ الخزانة للبعثرة او الإتلاف على

DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781

يد المغول. (عواد، 1406هـ/1986م، ص151-153)، (محي الدين، 1981م، 101).

4-خزانة المشهد الكاظمي: وهي ملحقة بمدرسة المشهد الكاظمي التي تعد من أثار الخليفة العباسي ناصر الدين الله، وقد وقف جماعة من العلماء كتبهم على هذا المشهد فحفظت جميعها في هذهِ الخزانة، وكانت هذهِ المكتبة من بينَ المكتبات التي نجت من محنة بغداد دون أن يصيبها شيء من التلف أو الدمار في أثناء الغزو المغولي، وبقيت عامرة طيلة عهد المغول الإيلخانين. (محي الدين، 1981م، 104).

ج-مكتبات الرباطات:

1-خزانة كتب الرباط الحريم الطاهري: أنشأ هذهِ المكتبة مع الرباط الخليفة الناصر لدين الله سنة 589هـ، تقع غربي بغداد على نهر دجلة، نقلْ إليها كتباً كثيرة من أحسن الكتب، ولا توجد اشارات عن تأريخها ولا عما آل إليه مصيرها في الغزو. (عواد، 1406هـ/1986م، ص159)، (محي الدين، 1981م، 106-107).

2-خزانة كتب رباط المأمونية: تعود هذهِ الدار او الخزانة إلى رباط المأمونية إحدى محلات بغداد العتيقة بالجانب الشرقي، نقلتْ إليها الكثير من المصنفات باختلاف أنواعها حتى بلغ عددها حوالي 490 مجلداً، ومن أشهر خزانها أبو المعالي أحمد بن يحيى بن هبة الله(ت.603هـ). ولم يعلم عن مصيرها في سنة 656هـ/1258م وما بعدها. (عواد، 1406هـ/1986م، ص 159-160).

- مصير ما بقي من كتب ومكتبات بغداد بعد سنة 656هـ/1258م

وبالتالي كان مصير كتب ومكتبات بغداد خلال الغزو المغولي لسنة 656هـ/1258م وبعده قد أخذ عدة اتجاهات، الأول: ان هذهِ الكتب والمكتبات قد تعرضت إلى بعض الضرر والحرق أثناء عمليات الغزو بفعل ضربات المجانيق عليها، لم تنسخ كتبها بحكم ضعف مهنة الوراقة في تلكَ المدة فأنتهى أثرها، ولربما سطرت بعضها اعتماداً على ما قرأ منها وبالتالي ضعف تلكَ المعلومات وعدم دقتها، والثاني: أن الكتب قد بيعت من قبل أهالي بغداد لأصحاب بيع الكتب من سكان المناطق المجاورة بدلاً عن الأطعمة التي أرادوا الحصول عليها بسبب نقص المؤون ودمار أسواقهم، فنشأ أثر ذلك سوق لبيع الكتب في بغداد ولاسيما من قبل مدينتي الحلة والكوفة والسيب، وبالتالي بقيت تلكَ الكتب في عراقها وأرضها.

والثالث: هو أن الكثير من المدارس والمكتبات ولاسيما المعروفة بقيت قائمة وظلّ الطلاب والعلماء يتوافدون عليها، وبالتالي سلامة مكتباتها وخزائنها، ومواصلتها لنشاطها العلمي. الاتجاه الرابع: أن جزء من تلكَ المدارس والمكتبات فقدت الوثائق الأصلية عنها ولا يعني هذا إدانة المغول بإتلافها، لأن الكثير من المدارس والمكتبات التي دامت لما بعدت الغزو فقدت أثارها أيضاً. ولربما بعضَ تلكَ الخزائن بعدَ توقف عملها اخذت وألحقت بمكتبات أخرى كانت قائمة، لكن لم نجد أي إشارات بخصوص هذا الأمر.

الاتجاه الأخير والمهم أن جزء كبير من كتب ومكتبات بغداد قد أخذه نصير الدين الطوسي إلى مكتبة المرصد الفلكي الذي بناه بمراغة بأمر وتمويل من هولاكو خان، فنجده عندما وصل إلى بغداد في سنة (662هـ) للنظر في أوضاع الوقوف أخذ الكثير من كتب بغداد، ثم انحدر إلى واسط والبصرة، وجمع من العراق كتباً كثيرة لأجل مرصده، حتى بلغ عدد تلكَ المصنفات حوالي أربعمائة ألف مجلد. (ابن الفوطي، 1424هـ/2003م، ص252). (الهادي، 1443هـ/2021م، ص129-131).

الخاتمة:

1-عدم خوف أصحاب المصادر الأصلية المعاصرة لسقوط بغداد والقريبة منها التي تطرقت إلى ذكر الفظائع جميعها من قتل، وسلب، ونهب، وحرق، من السلطة المغولية على الرغم من أن الكثير منهم عاصر المغول الإيلخانيون هولاكو وأولاده وأحفاده، وهذا يدلنا على بعدها (السلطة المغولية) عن تقييد حرية الرواة

DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781

والمؤرخين، وإلا كيف تسمح لهم بتدوينْ هكذا تاريخ مزري بشأنهم لا سيما مع تجدد الحضارة المغولية تأثراً بالحضارة العربية الإسلامية.

2-تذكر المصادر والمراجع، وتركز على وجود مكتبات وخزائن مملوءة بإعداد هائلة من المصنفات في تلكَ المدة، لكنها تجهل مصير الكثير منها.

3-مع مقارنة البعد الزمني للمؤرخين الأصليين الراوين للرواية الأصلية مع المؤرخين الناقلين لتلكَ الرواية، نجد هنالك بعد شاسع بينهم في الزمان والمكان مع اختلاف المصادر التي اخذوا منها.

4-نجد في بعض المصادر هناك اختلاف كبير في روايتهم لأحداث الغزو، وهذا يعود إلى اختلاف ما نقلوه عن المصادر والمراجع التي تأثروا بها، كذلك بسبب ميولهم ومعتقداتهم.

5- كل الروايات ركزت على ثلاث محاور منها: ما يدين التدمير، ومنها ما يدين الغرق، ومنها ما يدين الحرق، لكن ما ألحقه المغول (الذين كانوا يسعون بفعل عيشتهم الصعبة إلى التحضر والاستقرار) من إصلاحات سواء في مركز عاصمتهم الأولى، أو عند مقدمهم إلى بلاد فارس والعراق كانت هي أجابة لهؤلاء الرواة، وهذا ما اثبتته المصادر اللاحقة عندما تطرقت إلى الإيلخانيون خلال المدة 1258- 1336م من تحقيقات حول أبرز الانجازات العمرانية التي قاموا بها في العراق وبلاد فارس مركز دولتهم، هذا وهم لا يعرفون من هذه الحضارة شيء فكيف عندما تأثروا بها، ولا ننسى ايضاً تأثر المغول الكبير بالحضارة الإسلامية حصراً، ودخول الكثير منهم إلى الإسلام .

6- والأهم منْ ذلكَ هو مصير ما آلت إليه هذه الخزائن، فجزء كبير منها تم اخذه إلى العاصمة لتوضع في مرصد مراغة وعلى يد أكثر عالم تم تخوينه وهو نصير الدين الطوسي، فروي أنه جمع في مرصده ما يقارب 400,000 مجلد، وهذا إذا ما قورنت بمؤلفات بغداد فهو اقرب إلى التوازن مع احتفاظ الكثير من المكتبات والمدارس بكتبها ومؤلفاتها، إذا ما استثنينا منها ما تعرض إلى الضياع والحرق بفعل غارات الغزو، وما اشتراه أصحاب المناطق الأخرى، ولا ننسى ما ذكره المؤرخين القدامى من أن الكثير من تلك المؤلفات قد تعرض للضياع بسبب اهماله، والبعض الأخر توجه به إلى بلاد أخرى، ولا ننسى تعرض المدينة بمؤسساتها إلى الفيضانات المتوالية التي انهالت على بغداد بسنوات قريبة جداً من سقوطها، وهل من الممكن أن المستعصم بالله الذي عرف عنه بسوء إدارته وكنزه للأموال أن يقوم بإصلاحات لمدينته خلال تلك المدة القليلة، لا سيما وأحد الشهود ذكر أن بغداد كان بها نوعاً من الخراب.

7-يجب ألا ننسى أن السيطرة والغزو هو جزء من السياسات القائمة على مر العهود، ولابد من تطبيقها منْ أجل أن يتسنى لها فرض سلطانها على مناطق شاسعة ذات نفع لها، وهو ما عملت به الإمبراطورية المغولية خلال تلك المرحلة المهمة من تأريخها.

8-بقي الخليفة المستعصم بالله العباسي واهماً يعيش على أمل الانتصار، وقد اخذته الغفلة والاستهانة بقوة عدوه الذي كان يتحين الفرص، وحبه للمال والجاه إلى أفاقته على خبر انهزام جيشه وضياع الخلافة من بين يديه، تلك الخلافة التي دامت سنوات طويلة تموج بين الازدهار والانحلال، ومن حال إلى حال تكون الرعية هي من يدفع الثمن، وتضحى البلاد في خراب من عمار حتى تتلقفها ألسنة الناس ويدونها المدونون. تلك الخلافة التي كانت تباهي في زمان ما بسيادتها بين دول العالم أضحتْ في أسوء حال وأضحى العراق في أسوء ما مر به في ذلكَ الزمن بمساعدة أطراف جمعتهم المصلحة والقدرة والمعرفة السياسية على انهائها.

9-يذكر أن عدم قيام المؤرخين الذين سكتوا عن تدوين قضية ضياع وتدمير الكتب ومكتبات يعود إلى خوف هؤلاء المؤرخين ومجاملتهم للسلطة المغولية، لكن في الحقيقة أنهم دونوا كل تفاصيل وأحداث الغزو بدءاً من مجيء هولاكو إلى بغداد وحتى رحيله عنها وكل الغارات التي قام بها هو وجنوده، فلماذا يتوقفون

DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781

عند ذكر تلك الحادثة فقط. وجزء منهم ذكروا شيئاً بسيطاً عنها لكن ليس بالحجم الفظيع الذي نقلته غيرها من المصادر الأخرى.

الإحالات والمصطلحات الواردة في البحث

***1:** وهي المصادر والمراجع التي سوف نتطرق إليها في معرض حديثنا عنْ الغزو المغولي، وأثاره على بغداد ومكتباتها في بحثنا هذا.

***2 بلاد فارس:** جغرافياً تقع هذهِ المنطقة قديماً بينَ بحر قزوين في الشمال وبحر فارس في الجنوب، تاريخياً هو الاسم الذي يطلق على المنطقة التي قامت عليها الدولة الفارسية القديمة التي تأسست بين سنتي 558_550 ق.م على يد كورش الثاني في الموضع الذي يعرف اليوم بـ فارس يقع في جنوب(فارس الكبرى)، ثم عمد إلى توسيع حدود مملكته حتى أصبحت تضم ما يعرف بالوقت الحاضر بـ (إيران), وهي منْ أكبر الدول التي سادت في المنطقة, تم تغير اسمها رسمياً من بلاد فارس إلى إيران في العهد البهلوي في عهد رضا شاه عندما أصدر مرسوماً يقضي بمنح البلاد اسم إيران بدلاً من فارس في سنة 1935م تمسكاً بالأصول الآرية، وتعني بلاد الآريين، ثم إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية في سنة 1979م. ينُظر :(باقر، 2011م، ص417_422, 445_450)، (الجاف،2008م، ص126, 296) .

***3الخوارزميين:** أسرة تركية, حكمت خلال السنوات 1077_1231، تعود إلى أنوشتكن_ أحد عبيد السلطان السلجوقي ملكشاه، كان يشغل وظيفة الساقي حتى أصبح والياً على خراسان، ثم وقع اختيار أحد قادة السلطان السلجوقي على أبنه قطب الدين محمد ليكون حاكماً على خراسان منذ سنة 490هـ/1097م ومنحه لقب خوارزمشاه, وعندما ولي السلطان السلجوقي سنجر أقر محمد خوارزمشاه على أقليم خوارزم وإعماله, استطاع الخوارزميين التوسع على حساب السلاجقة والقضاء عليهم والاستيلاء على ممتلكاتهم, وقد جابهوا العديد من القوى في الشرق ولاسيما الخلافة العباسية, أصبحت خوارزم في عهدهم تضم العديد من المناطق ومنها: خوارزم، بلاد ما وراء النهر، خراسان، أذربيجان، سجستان، كرمان، بلاد الجبل، منطقة بحر قزوين، وغيرها من المناطق, واستمروا في الحكم حتى قضى عليهم المغول. ينُظر :(الصياد، 1980م، ص61)، (عبد الرؤوف، 1999م، ص159_166).

***4 الإسماعيليين النزاريين:** طائفة من الإسماعيلية نسبة إلى نزار المصطفى لدين الله بن معد المستنصر بالله، عقب وفاة المستنصر بالله نشب خلاف بالبيت الفاطمي على تولي الخلافة بين من رؤوا أن أبنه نزار هو الأحق بالخلافة وبين من رؤوا أن أبنه الأخر هو أحمد المستعلي بالله هو الإمام وكان وكيل المستنصر القوي شاهنشاه مؤيداً للمستعلي وأكثر الأطراف المتنازعة نفوذاً فحسم الخلاف لصالح الأخير، فأصبح الإمام التاسع عشر وقبض على نزار وسجن ووضع بين جدارين فمات في السجن (وتركز هؤلاء في قلعة آلموت). ينُظر: (دفتري، 2016م، ص43_45)، (الطريحي، 1999م، ص159_ 161).

***5 هولاكو خان (1217-1265م):** يرد اسمه بألفاظ عديدة مثل هلاوون، هلاون، هولاو، وهو الأبن الخامس في تسلسل أبناء تولوي بن جنكيز خان وثالث أبناءه المعتمدين، مؤسس دولة المغول الإيلخانية في بلاد فارس وأول خاناتها 1258_1265. ينُظر :(حيدر، 2003م، ص40, 44).

***6 سيف الدين أحمد البيكتجي:** منْ كبار الأمراء في عهد هولاكو خان، وأحد وزرائه ومدبري ملكه، قتل على يده في سنة 661هـ/1263م. ينُظر: (العزاوي، 1935م، ص168 ،237.

***7المستنصر بالله(1226-1246):** أبو جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله، وأمه جارية تركية، تولى الحكم بعد وفاة والده الظاهر 623هـ/1226م، توفي في العاشر من جمادى الأخرى من سنة 640هـ/1242م، وتولى بعده المستعصم بالله. ينُظر: (السيوطي، 2013م، ص702،705).

***8 التتر:** المقصود بالتتر هنا هم المغول انفسهم، وهم شعوب بدوية انقسمت إلى عدة طوائف وقبائل, عاشوا في الهضبة

DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781

المعروفة باسم هضبة منغوليا شمال صحراء جوبي وهي تمتد في أواسط آسيا جنوبي سيبيريا وشمال التبت، وغربي وشرقي التركستان بين جبال التاي غرباً وجبال خنجان شرقاً, عرفهم المؤرخين العرب الذين عاصروا المغول وغزواتهم بأنهم التتر أو التتار, وسار على ذلك الرحالة والمؤرخين الأوربيين من بعدهم, إذ ذكروا أن المغول كانوا يعرفون قبل جنكيز خان بالتتار, وقد وردت كلمة التتار في نقوش أورخون اسماً لشعب, إلا أن المؤرخين الأوربيين المستشرقين أمثال بارثولد الروسي عرفوا الفرق بين التتار والمغول, وأعربوا بأن التتار شعبة متفرعة من المغول, كما أن المغول أسسوا إمبراطورية عرفت بالتاريخ باسمهم, بينما التتار تلاشوا على يد الزعيم المغولي جنكيز خان. ينُظر: (سُليمان, 1972م، ص465_467)، (الصياد، 1980م، ص30)، (الصلابي، 2009م، ص27_28).

***9 الآجرّ:** الطين المشوي بالنار ويستخدم للبناء. ينُظر :(الموسوي، 2022م).

***10جنكيز خان(1155_1227م):** قائد مغولي، اسمه الحقيقي تموجين، ولد في منغوليا في سنة 1155م في دولون بولداق، وهو أكبر أبناء يسوكاي بهادر رئيس قبيلة قيات المغولية، اتخذ تموجين لقبه جنكيز خان في سنة 1206م، ويظن بعض المؤلفين أن هذا اللقب معناه " الملك الأعظم" أو " ملك الملوك" ومعنى هذا أن جنكيز خان كان يحكم البلاد حكماً مستقلاً مطلقاً، هاجم شمال الصين في سنة 1213, واستولى على بكين في سنة 1215. ينُظر: (سُليمان, 1972م, ص466)، (الصياد, 1980م, ص39_40, 49, 52_53) .

***11:** عما أورده ناجي معروف فيما يتعلق بهذهِ الكتب السبعة ينُظر :(1379معروف، هـ/ 1959م، ص271).

***12 طوسُ:** طولها إحدى وثمانون درجة، وعرضها سبع وثلاثون، وهي في الإقليم الرابع، وهي مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ تشتمل على بلدتين يقال لإحداهما الطابران وللأخرى نوقان ولهما أكثر من ألف قرية. ينُظر :(الحموي، 1994م، ص49).

***13خانات المغول:** غازان خان (1295-1304م)، اولجايتو خدابنده (1304-1316م)، وأبي سعيد بهادور(1316-1335م).

***14:** اختلفت الأراء حول دخول صناعة الورق إلى الديار الإسلامية، فاتجاه أخذ يقول: أنها انتقلت بفعل الامتداد في الفتوحات الإسلامية نحو الشرق المتاخمة للحدود الصينية، فكانت سبباً في الاتصال والاحتكاك وبالتالي انتقال الورق إلى العرب المسلمين، في حين يذهب اتجاه آخر أن صناعة الورق دخلت أيام الأمويين، وآخرون يشيرون إلى أنها دخلتهم عندما أسروا عدداً منْ الجنود في حدود النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، وبناء على هذا وذاك تم اعتبار أن نهاية القرن الثامن الميلادي هو تاريخ دخول صناعة الورق للديار الإسلامية.(عليان، 1420هـ/1999م، ص57).

قائمة المصادروالمراجع

1--افندى، نظمى زاده مرتضي، كلشن خلفا نقله إلى العربية: موسى كاظم نورس، مطبعة الأداب، النجف، 1971م.

2-الألوسي، السيد محمود شكري، تاريخ مساجد بغداد وأثارها، مطبعة دار السلام، بغداد، 1346هـ.

3-الأمين، حسين، الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي، ط2، مطبعة باقري، طهران، 1997م.

4-باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج2, دار الوراق للطباعة والنشر, بغداد, 2011م.

5-بدر، مصطفى طه، محنة الإسلام الكبرى، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1999م.

6-براون، ادوارد جرانفيل، تاريخ الأدب في إيران من السعدى إلى الفردوسي، نقله إلى العربية: ابراهيم امين الشوارى، مطبعة السعادة، مصر، 1373هـ/ 1954م.

DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781

7-ابن تغرى بردي، جمال الدين يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج7، دار الكتب، مصر، 1963م.

8-ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوي، ج13، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية، 1425هـ/2004م.

9-الجاف، حسن كريم , موسوعة تاريخ إيران السياسي, مج4, الدار العربية للموسوعات, بيروت, 2008م.

10-ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد، رحلة ابن جبير، دار بيروت للطباعة والنشر، د.ت.

11-الجوزجاني، أبي عمر منهاج الدين عثمان بن السراج، طبقات ناصري، تر: عفاف السيد زيدان، ج1-2، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، 2013م.

12-ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، صيد الخاطر، دار القلم، دمشق، 1425هـ/2004م.

13-ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تح: محمد علي النجار، القسم الأول، المكتبة العلمية، بيروت، 1967م.

14-ابن ابي الحديد، عز الدين، شرح نهج البلاغة، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

15-حسن، ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج4، ط14، دار الجيل، بيروت، 1416هـ/1996م.

16-حمدى، حافظ أحمد، الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر العربي، مصر، 1987.

17-الحمداني، طارق نافع، نصوص بغدادية نادرة، دار ميزوبوتاميا، بغداد، 2013م.

18-الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج4، ط2، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

19-حيدر، عبد الرحمن فرطوس، الإيلخان هولاكو ودوره في نشأة وقيام الدولة الإيلخانية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب_ جامعة بغداد, 2003.

20-خصباك، جعفر حسين، العراق في عهد المغول الإيلخانين، مطبعة العاني، بغداد، 1968م.

21-ابن خلدون، عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، مر: سهيل زكار، ج5، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000م.

22-درويش، عبد الستار مطلك، وعبد علي، عبد المنعم حامد، تأثير الغزو المغولي على الحياة العلمية في بغداد 656هـ/1258م، مجلة مداد الآداب، العدد الخامس، الجامعة العراقية، 2013م.

23-دفتري، فرهاد، معجم التاريخ الإسماعيلي، تر: سيف الدين القصير، دار الساقي، بيروت، 2016.

24-الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد،

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام التدمري، ج48، ط2 دار الكتاب العربي، بيروت، 1413هـ/1993م.

- العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

25-الراوي، جمال أحمد حسو، مكتبات بغداد في العصر العباسي 132-656هـ/ 749-1258م، طبعة الوسام، الموصل، 2023م.

26-الربيعي، سهاد خزعل نجيب، العراق في عهد علاء الدين الجويني 657-681هـ/ 1258-1283م، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية-الجامعة المستنصرية، بغداد، 1427هـ/2006م.

27-الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج3-4، ط15، دار العلم للملايين، 2002م.

DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781

28-ابن الساعي، تاج الدين علي بن أنجب، الدر الثمين في أسماء المصنفين، تح: أحمد شوقي بنين، محمد سعيد حنشي، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2009م.

29-سترون، لوسيان بولا، كيف تحترق. تاريخ تدمير المكتبات، تر: هاشم صالح، ومحمد مخلوف، مر: عبد الودود العمراني، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، 2010م.

30-سُليمان، أحمد السّعيد. تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ج2, دار المعارف, مصر, 1972,

31-سوسه، أحمد، فيضانات بغداد في التأريخ،

- القسم الأول، مطبعة الأديب، بغداد، 1963م.

-القسم الثاني، مطبعة الأديب، بغداد، 1965م.

32-السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن،

-تاريخ الخلفاء، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2013م.

33-ابن شاكر الكتبي، صلاح الدين محمد، فوات الوفيات، تح: إحسان عباس، ج3، دار صادر، بيروت، 1974م.

34-الصالح، عباس علوان، استيلاء المغول على بغداد، مجلة الرسالة، العدد46، د.ت، تاريخ الدخول إلى المجلة 8/ 4/ 2024.

35-الصفدي، صلاح الدين أبو صفاء خليل بن آيبك، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الارناؤوط، وتركي مصطفى، ج1، دار احياء التراث، بيروت، 1420هـ/2000م.

36-الصلابي، علي محمد، دولة المغول والتتار بين الانتشار والانكسار، دار المعرفة، بيروت, 2009

37-فؤاد عبد المعطي، المغول في التاريخ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت, 1980.الصياد،

38-الطائي، سعاد هادي حسن، المدن المقدسة في العراق (النجف، كربلاء) في عهد المغول الإيلخانين. دراسة في أحوالهما العامة، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد 41، جامعة بغداد-كلية الآداب، 2014م .

39-طرازي، الفيكونت فيليب دي، دار الكتب، بيروت، 1947م.

40-الطريحي، محمد سعيد، الإسماعيلية. من هم؟ وأين هم، مجلة الموسم، العددان(43_44)، هولندا،1999،

41-ابن الطقطقا، محمد بن علي بن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، د.ت.

42-ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن القطيعي، مراصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع، ج1، دار الجيل، بيروت، 1412هـ.

43-عبد الرؤوف، عصام الدين، الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة, 1999,

44-ابن العبري، غريغوريوس أبي الفرج بن اهرون،

- تاريخ مختصر الدول، صححه: الاب أنطوان صالحاني اليسوعي، ط2، دار اللبناني، لبنان، 1403هـ/ 1983م.

- مخطوطة تاريخ الأزمنة، تر: شادية توفيق حافظ، مراجعة: السباعي محمد السباعي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 2007م.

45-العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين 1258_1338.حكومة المغول، ج1, مطبعة بغداد, 1935م.

46-العصامي، عبد الملك بن محمد حسين، سمط النجوم العوالي في أنباء الاوائل والتوالي، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

47-عليان، ربحي مصطفى، المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 1420هـ/1999م.

48-ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تح: محمود الارناؤوط، ج7، دار ابن كثير، دمشق، 1406هـ/ 1986م.

49-ابن عنبة، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ط2، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، 1380هـ/1961م.

50-عواد، كوركيس، خزائن الكتب القديمة في العراق، دار الرائد العربي، بيروت-لبنان، 1406هـ/1986م.

DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781

51-ابن الفوطي، كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني،
- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تح: مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م.
- مجمع الآداب في معجم الالقاب، تح: محمد الكاظم، مج1-2، مؤسسة الطباعة والنشر، إيران، 1416هـ/1995م.
52-أبي الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي الأيوبي، المختصر في اخبار البشر، ج3 المطبعة الحسنية المصرية، مصر، د.ت.
53-القدحات، محمد عبد الله، تاريخ ابن الساعي وبذيله من الضائع من تأريخ ابن الساعي، دار الفاروق، عمان-الاردن، 2010م.
54-القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج1-4، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.
55-قوادري، ابو بكر، وطاطا، نصر الدين، المكتبات الخاصة (الخلفاء والأمراء) في العصر العباسي، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، 1438هـ/2017م.
56-قيقانو، انطوان بشارة، جدول السنين الهجرية وما يوافقها من السنين الميلادية، ط3، دار المشرق، بيروت، 1997م.
57-الكتاني، محمد بن عبد الحي بن محمد الحسني الإدريسي، التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة المنورة، تح: عبد الله الخالدي، ج2، ط2، دار الأرقم، بيروت، د.ت.
58-ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تح: عبد الله بن المحسن التركي، ج17، دار هجر للطباعة والنشر، مصر، 1418هـ/1997م.
59-الكرملي، أنستاس ماري الأوليان، وعواد، بطرس بن جبرائيل يوسف، مجلة لغة العرب، ج8، العدد83، مطبعة الإداب، بغداد، د.ت.
60-كوك، ريجارد، بغداد مدينة السلام، نقله إلى العربية: فؤاد جميل، مصطفى جواد، دار ومكتبة عدنان، بغداد، 2014م.
61-مؤلف منسوب لابن الساعي، مختصر أخبار الخلفاء، المطبعة الاميرية، بولاق، مصر، 1309هـ.
62-محي الدين، محمد صالح، مكتبات بغداد وموقف المغول منها، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، العدد5، 1981م.
63-معروف، ناجي، تاريخ علماء المستنصرية، مطبعة العاني، بغداد، 1379هـ/1959م.
64-المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/1997م.
65-المهايني، رفيق، تاريخ الخلافة الأموية والعباسية والدول الإسلامية والعصور الوسطى في أوروبا، مطبعة دار اليقظة العربية، دمشق، 1946م.
66-النهروالي، قطب الدين محمد بن أحمد، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، المكتبة التجارية، مكة المكرمة،1996م.
67-النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب القرشي، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج27، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1423هـ.
68-الهادي، يوسف،
-هل أحرق المغول مكتبات بغداد؟، مجلة الخزانة، العدد العاشر، مركز احياء التراث السابع، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء، 1443هـ/2021م.
- هل من صلة بين كتاب مختصر أخبار الخلفاء وابن الساعي، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، مج46، ع1-2، الرياض، 2010م.
69-الهمذاني، رشيد الدين فضل الله، جامع التواريخ. تاريخ المغول الإيلخانيون (تاريخ هولاكو)، نقله إلى العربية: محمد صادق نشأت وآخرون، مر: يحي الخشاب، مج2، ج1، دار احياء الكتب العربية، الجمهورية العربية، 1960م.

DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781

70-هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية، تر: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، 1970م.

71-آل ياسين، محمد مفيد، الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري، الدار العربية للطباعة، بغداد، 1399هـ/1979م.

72-اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد، ذيل مرآة الزمان، ج1، ط2، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1413هـ/1992م.

List of sources and references

1-Effendi, Nazmi Zadeh Mortada, Kalshan Khalaf, translated into Arabic: Musa Kazem Nawras, Al-Adab Press, Najaf, 1971 AD.

2- Al-Alusi, Mr. Mahmoud Shukri, History of Baghdad Mosques and their Monuments, Dar Al-Salam Press, Baghdad, 1346 AH.

3- Al-Amin، Hussein، The Ismailis، the Mongols and Nasir al-Din al-Tusi, 2nd edition، Bagheri Press، Tehran, 1997 AD.

4-Baqir, Taha, Introduction to the History of Ancient Civilizations, Part 2, Dar Al-Warraq for Printing and Publishing, Baghdad, 2011 AD.

5- Badr, Mustafa Taha, The Great Ordeal of Islam, 2nd edition, Egyptian General Book Authority, Egypt, 1999 AD.

6- Brown, Edward Granville, The History of Literature in Iran from Al-Saadi to Ferdowsi, translated into Arabic by: Ibrahim Amin Al-Shawari, Al-Saada Press, Egypt, 1373 AH / 1954 AD.

7- Ibn Taghri Bardi, Jamal al-Din Yusuf, The Bright Stars in the Kings of Egypt and Cairo, vol. 7, Dar al-Kutub, Egypt, 1963 AD.

8-Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din Abu al-Abbas Ahmad bin Abdul Halim, Majmo' al-Fatawa, vol. 13, King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur'an, Medina, Saudi Arabia, 1425 AH/2004 AD.

9- Al-Jaf, Hassan Karim, Encyclopedia of Iran's Political History, Volume 4, Arab Encyclopedia House, Beirut, 2008 AD.

10-Ibn Jubayr, Abu Al-Hasan Muhammad bin Ahmed, The Journey of Ibn Jubayr, Beirut Printing and Publishing House, d.d.

11- Al-Jawzjani, Abu Omar Minhaj al-Din Othman bin al-Sarraj, Tabaqat al-Nasiri, Trans. Afaf al-Sayyid Zidan, vol. 1-2, General Authority for Princely Printing Affairs, Egypt, 2013 AD.

12-Ibn al-Jawzi, Jamal al-Din Abu al-Faraj Abd al-Rahman bin Ali, Sayd al-Khatir, Dar al-Qalam, Damascus, 1425 AH/2004 AD.

13- Ibn Hajar Al-Asqalani, Ahmed bin Ali, Tabsir Al-Muntahab bi liberating the suspect, edited by: Muhammad Ali Al-Najjar, First Section, Scientific Library, Beirut, 1967 AD.

14-Ibn Abi Al-Hadid, Izz al-Din, Sharh Nahj al-Balagha, vol. 1, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, d.d.

15-Hassan, Ibrahim Hassan, The History of Political, Religious, Cultural and Social Islam, vol. 4, 14th edition, Dar Al-Jeel, Beirut, 1416 AH/1996 AD.

16-Hamdi, Hafez Ahmed, The Khwarezmian State and the Mongols, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Egypt, 1987.

17- Al-Hamdani, Tariq Nafi', Rare Baghdadi Texts, Dar Mesopotamia, Baghdad, 2013 AD.

18-Al-Hamwi, Shihab al-Din Abu Abdullah Yaqut bin Abdullah, Mu'jam al-Buldan, vol. 4, 2nd edition, Dar Sader, Beirut, 1995 AD.

19-Haider, Abd al-Rahman Fartous, Ilkhan Hulagu and his role in the emergence and establishment of the Ilkhanid state,

DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781

Mustansiriya University, Baghdad, 1427 AH / 2006 AD.
27- Al-Zirakli, Khair al-Din, Al-A'lam, vol. 3-4, 15th edition, Dar Al-Ilm Lil-Millain, 2002 AD.
28-Ibn al-Sa'i, Taj al-Din Ali bin Anjab, al-Dur al-Thameen fi Asma al-Musannaf, ed.: Ahmed Shawqi Banin, Muhammad Saeed Hanshi, Dar al-Gharb al-Islami, Tunisia, 2009 AD.
29-You will see، Lucien Paula، How to Burn. The History of the Destruction of Libraries, Trans: Hashem Saleh, and Muhammad Makhlouf, Trans: Abdul Wadud Al-Omrani, Ministry of Culture, Arts and Heritage, Qatar, 2010 AD.
30-Suleiman، Ahmed Al-Saeed. History of Islamic Countries and Dictionary of Ruling Families, Part 2, Dar Al-Maaref, Egypt, 1972,
31-Sousa، Ahmed، Baghdad floods in history،
-The first section، Al-Adib Press، Baghdad, 1963 AD.
-The second section، Al-Adib Press، Baghdad, 1965 AD.
32-Al-Suyuti, Jalaluddin bin Abdul Rahman,
-History of the Caliphs, 2nd edition، Ministry of Endowments and Islamic Affairs، Qatar, 2013 AD.
33- Ibn Shaker Al-Kutbi, Salah al-Din Muhammad, Fawat al-Wafiyat, ed.: Ihsan Abbas, vol. 3, Dar Sader, Beirut, 1974 AD.
34- Al-Saleh, Abbas Alwan, The Mongols' Takeover of Baghdad, Al-Resala Magazine, Issue 46, D.T., date of entry to the magazine 4/8/2024.
35-Al-Safadi, Salah al-Din Abu Safaa Khalil bin Aibak, Al-Wafi bi'l-Wafiyat, edited by: Ahmed Al-Arnaout and Turki Mustafa, Part 1, unpublished doctoral thesis, College of Arts, University of Baghdad, 2003.
20- Khasbak, Jaafar Hussein, Iraq during the reign of the Ilkhanid Mongols, Al-Ani Press, Baghdad, 1968 AD.
21-Ibn Khaldun, Abd al-Rahman, History of Ibn Khaldun. Diwan al-Mubtada wa al-Khabar fi Tarikh al-Arab wal-Berber, by: Suhail Zakkar, vol. 5, Dar Al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution, 2000 AD.
22-Darwish, Abd al-Sattar Mutlak, and Abd Ali, Abd al-Moneim Hamed, the impact of the Mongol invasion on scientific life in Baghdad. 656 AH / 1258 AD, Madad Al-Adab Magazine, fifth issue, Iraqi University, 2013 AD.
23-Daftari, Farhad, Dictionary of Ismaili History, Trans.: Saif al-Din al-Qusayr, Dar al-Saqi, Beirut, 2016.
24-Al-Dhahabi, Shams Al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed,
-The History of Islam and the Deaths of Celebrities and Notables، ed.: Omar Abdel Salam Al-Tadmuri، vol. 48, 2nd edition، Dar Al-Kitab Al-Arabi، Beirut, 1413 AH/1993 AD.
-Lessons in the news from the past، ed.: Abu Hajar Muhammad Al-Saeed، vol. 3, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, D.T.
25- Al-Rawi, Jamal Ahmad Hasu, Baghdad Libraries in the Abbasid Era 132-656 AH / 749-1258 AD, Al-Wissam Edition, Mosul, 2023 AD.
26-Al-Rubaie, Suhad Khazal Najib, Iraq during the reign of Ala al-Din al-Juwayni 657-681 AH / 1258-1283 AD, unpublished doctoral thesis, College of Education - Al-

General Authority for Princely Printing Affairs, 2007 AD.
45-Al-Azzawi, Abbas, The History of Iraq between Two Occupations 1258-1338. The Mongolian Government, Part 1, Baghdad Press, 1935 AD.
46-Al-Isami, Abd al-Malik bin Muhammad Hussein, Summat al-Najm al-Awali fi Anba' al-Awa'il wa al-Tawal, vol. 3, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1998 AD.
47-Alyan, Rabhi Mustafa, Libraries in Arab-Islamic Civilization, Dar Safaa for Publishing and Distribution, Amman, 1420 AH/1999 AD.
48-Ibn al-Imad al-Hanbali, Abd al-Hayy ibn Ahmad ibn Muhammad, Nuggets of Gold in News of Gold, ed.: Mahmoud al-Arnaout, vol. 7, Dar Ibn Kathir, Damascus, 1406 AH/1986 AD.
49-Ibn Anaba, Jamal al-Din Ahmad bin Ali al-Husseini, Umdat al-Talib fi Ansab al-Abi Talib, 2nd edition, Al-Haidariyya Press Publications, Najaf al-Ashraf, 1380 AH/1961 AD.
50- Awad, Gorkis, Ancient Bookcases in Iraq, Dar Al-Raed Al-Arabi, Beirut-Lebanon, 1406 AH/1986 AD.
51-Ibn al-Futi, Kamal al-Din Abi al-Fadl Abd al-Razzaq bin Ahmad al-Shaibani,
-Comprehensive Incidents and Beneficial Experiences in the Seventh Hundred، edited by: Mahdi Al-Najm، Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah، Beirut, 1424 AH/2003 AD.
-The Academy of Arts in the Dictionary of Titles، edited by: Muhammad Al-Kadhim, vol. 1-2, Printing and Publishing Institution, Iran, 1416 AH/1995 AD.
52-Abu Al-Fidaa, Imad al-Din Ismail bin Ali al-Ayyubi, Al-Mukhtasar fi Akhbar al-Bishr, Dar Ihya' al-Turath, Beirut, 1420 AH/2000 AD.
36-Al-Sallabi, Ali Muhammad, The State of the Mongols and Tatars between Spread and Devastation, Dar Al-Ma'rifa, Beirut, 2009
37- Al-Sayyad, Fouad Abdel Muti, The Mongols in History, Arab Renaissance Printing and Publishing House, Beirut, 1980.
38- Al-Ta'i, Suad Hadi Hassan, The Holy Cities of Iraq (Najaf, Karbala) during the reign of the Ilkhanid Mongols. A study of their general conditions, Journal of Studies in History and Archeology, No. 41, University of Baghdad - College of Arts, 2014 AD.
39- Tarazi, Viscount Philippe De, Dar Al-Kutub, Beirut, 1947 AD.
40-Al-Tarihi, Muhammad Saeed, Ismailia. who are they? And where are they?, Al-Mosem magazine, issues (43-44), Netherlands, 1999,
41-Ibn al-Taqtqa, Muhammad bin Ali bin Tabataba, Al-Fakhri fi Royal Literature and Islamic Countries, Dar Sader, Beirut, d.d.
42-Ibn Abd al-Haqq, Safi al-Din Abd al-Mu'min al-Quta'i, Observatories of the Names of Places and Bekaa, Part 1, Dar al-Jeel, Beirut, 1412 AH.
43-Abdel Raouf, Essam El-Din, Independent States in the Islamic Levant, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, 1999,
44-Ibn al-Abri, Gregory Abi al-Faraj ibn Ahron,
-History of Mukhtasar al-Dawl، authenticated by: Father Antoine Salhani al-Yasu'i, 2nd edition، Dar al-Lubnany، Lebanon, 1403 AH/1983 AD.
-Manuscript of the History of Time، Translated by: Shadia Tawfiq Hafez، Reviewed by: Al-Sibai Muhammad Al-Sibai،

Jawad, Adnan House and Library, Baghdad, 2014 AD.
61-A work attributed to Ibn al-Sa'i, Summary of the News of the Caliphs, Al-Amiriya Press, Bulaq, Egypt, 1309 AH.
62-Muhyiddin, Muhammad Saleh, Baghdad's libraries and the Mongols' position on them, Journal of the College of Social Sciences, No. 5, 1981 AD.
63-Marouf, Naji, History of the Scholars of Mustansiriya, Al-Ani Press, Baghdad, 1379 AH/1959 AD.
64-Al-Maqrizi, Taqi al-Din Ahmad Bin Ali, Al-Suluk to Know the Countries of Kings, ed.: Muhammad Abd al-Qadir Atta, vol. 1, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1418 AH/1997 AD.
65-Al-Mahaini, Rafiq, The History of the Umayyad and Abbasid Caliphates, the Islamic States and the Middle Ages in Europe, Dar Al-Yaqaa Al-Arabiya Press, Damascus, 1946 AD.
66-Al-Nahrawali, Qutb al-Din Muhammad bin Ahmad, Al-Ila'im bi'l-Imla' Baytullah al-Haram, Commercial Library, Makkah Al-Mukarramah, 1996 AD.
67-Al-Nuwairi, Shihab al-Din Ahmad bin Abdul-Wahhab al-Qurashi, Nihayat al-Arb fi Fanun al-Adab, vol. 27, National Library and Archives, Cairo, 1423 AH.
68-Al-Hadi, Youssef,
-Did the Mongols burn the libraries of Baghdad?, Al-Khazanah Magazine, Issue 10, Seventh Heritage Revival Center, the Holy Abbasid Shrine, Karbala, 1443 AH/2021 AD.
-Is there a connection between the book Summary of the News of the Caliphs and Ibn al-Sa'i، Dar Al-Yamamah for Research، vol. 3, Al-Hasaniyya Al-Misriyah Press, Egypt, d.d.
53-Al-Qadahat, Muhammad Abdullah, The History of Ibn al-Sa'i and its sequel from the lost from the history of Ibn al-Sa'i, Dar Al-Farouq, Amman-Jordan, 2010 AD.
54- Al-Qalqashandi, Ahmed bin Ali, Subh Al-A'sha fi the Construction Industry, vol. 1-4, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1987 AD.
55-Qawadri, Abu Bakr, and Tata, Nasr al-Din, Private Libraries (Caliphs and Princes) in the Abbasid Era, a memorandum for obtaining a master's degree in history, Faculty of Humanities and Social Sciences, Muhammad Boudiaf University, Algeria, 1438 AH/2017 AD.
56-Qayqano, Antoine Bishara, Table of the Hijri Years and the Corresponding Gregorian Years, 3rd edition, Dar Al-Mashreq, Beirut, 1997 AD.
57-Al-Kattani, Muhammad bin Abdul-Hayy bin Muhammad al-Hasani al-Idrisi, administrative arrangements, businesses, industries, stores, and the scientific situation that existed during the founding of the Islamic city in Medina, ed.: Abdullah al-Khalidi, vol. 2, 2nd edition, Dar al-Arqam, Beirut, d. T.
58-Ibn Kathir, Imad al-Din Ismail bin Omar, The Beginning and the End, ed.: Abdullah bin al-Muhsin al-Turki, vol. 17, Dar Hajar for Printing and Publishing, Egypt, 1418 AH/1997 AD.
59-Al-Karmali, Anastas Mary Al-Ulian, and Awad, Boutros bin Gabriel Youssef, Arab Language Magazine, vol. 8, issue 83, Al-Adab Press, Baghdad, d.d.
60- Cook, Regard, Baghdad, City of Peace, translated into Arabic: Fouad Jameel, Mustafa

DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781

purposes of teaching, writing, and copying. The matter was not limited to this, but it went beyond attaching mosques and mosques to such cupboards for the purposes of religious and scientific teaching, and it remained in that state until what historians called "the Dark Period" passed through Baghdad. Which began with the fall of the Abbasid Caliphate in the year 656 AH/1258 AD, and which ascribed its name to what Baghdad lost during the invasion operations, including documents, manuscripts, and original writings about that historical stage through burning, loss, and destruction, according to what some historians reported in their books, influenced by the killing, looting, and sabotage caused by the Mongols. accompanied the invasions, So; Through these pages, we tried to find out what news was reported on the pages of the writings of their contemporaries and those who followed their time, and we followed it starting from the arrival of the Mongols to Baghdad to find out what happened to it when the city fell, and what happened to its fate based on the information contained in those sources.

Keywords: books, libraries, Mongol, fall of Baghdad, burning, flooding, destruction.

Translation and Publishing، vol. 46, no. 1-2, Riyadh, 2010 AD.

69-Al-Hamdhani, Rashid al-Din Fadlallah, Jami' al-Tawarikh. History of the Ilkhanid Mongols (History of Hulagu), translated into Arabic by: Muhammad Sadiq Nashat and others, passed by: Yahya al-Khashab, vol. 2, part 1, Dar Al-Kutub Revival, Arab Republic, 1960 AD.

70-Hintz, Walter, Islamic Measures and Weights, Trans.: Kamel Al-Asali, University of Jordan Publications, Amman, 1970 AD.

71-Al Yassin, Muhammad Mufid, Intellectual Life in Iraq in the Seventh Century AH, Arab Printing House, Baghdad, 1399 AH/1979 AD.

72- Al-Yunini, Qutb al-Din Abu al-Fath Musa bin Muhammad, Dhayl Mirrorat al-Zaman, vol. 1, 2nd edition, Dar al-Kitab al-Islami, Cairo, 1413 AH/1992 AD.

The fate of Baghdad's books and libraries during the Mongol invasion 656 AH/1258 AD. Historical study

Samah Habib Hussein

Al-Muthanna University/College of Education for Human Sciences

Abstract:

In the last Abbasid era, Baghdad witnessed great development in the scientific and cultural aspect. Those in charge of it began establishing many public and private libraries until their coffers became filled with thousands works from various sciences and knowledge in language, literature, medicine, philosophy, sciences, religious studies...etc.

Many schools, quarters, and corners were established and attached to bookcases for the

DOI:10.52113/uj05/024-17/748-781